الجزء السابع . المجلد الاول

المقتبس

غرة رجب سنة ١٣٢٤

صدور المشارقة والمغاربة

« ابن الخناط الكفيف »

كلما نظرنا في تراجم رجال الاسلام نظر الناقد المستبصر يتجلى لنا ان من نفعوا الأمة نفعاً حقيقياً هم في الاكثر ممن كانت لهم ولو مشاركة قليلة في العلوم الطبيعية والرياضية والتاريخية لان هذه الفنون تلقح فكراً جديداً وتكبر دائرة تصور المشتغل بها ولو نظر فيها نظرة إجمالية فما الحال به اذا احكمها كل الاحكام . وذاقها كما يذوقها ارباب الاحلام .

خذ لك مثالاً من ترجمة الرازي وابن تيمية والغزالي وغيرهم فقد كانوا من المتمكنين من علوم الاوائل وتواريخهم لذلك كتبت لهم الاجادة في كل ما أثر عنهم من المصنفات الدينية وغيرها . وصاحب الترجمة ابو عبد الله ابن الخناط الاندلسي هو احد الامثلة في هذا الباب إلا انه انصرف بكليته الى علوم الدنيا فافاد واستفاد ولم يصده فقد البصر عن توفر البصيرة في العلم

والادب . ولا غرو فقد كان عصره وقطره مبعث النور ومنبثق الفضائل .

قال في الذخيرة : هذا زعيم من زعماء المصر كان ورئيس من رؤساء النظم والنثر في ذلك الاوان . وجمرة فهم لفحت وجوه الايام . وغمرة علم سالت باعلام الانام فكم له من وقدة لا يبرأ أميمها . ونكزة لا يسلم سليمها . وكانت بينه وبين أبي عامر بن شهيد بعد تمسكه باسبابه . وانحياش كان الى جنابه . مناقضات في عدة رسائل وقصائد اشرقت ابا عامر بالماء . وأخذت عليه بفروج الهواء . وقد اوردت من ذلك ما يكون انطق لسان بنباهة ذكره واعدل شاهد على براعة قدره

وقد ذكره ابن حيان في فصل من كتابه فقال : وفي سنة سبع وثلاثين واربعمائة نعي الينا ابو عبد الله محمد بن سليمان بن الحناط الشاعر الضرير القرطبي بقية الادباء النحارير في الشعر . هلك في الجزيرة الخضراء في كنف الامير محمد بن القاسم . وهلك اثره ابنه الذي لم يكن له سواه بمالقة فاجتث أصله . وكان من اوسع الناس علماً بعلوم الجاهلية والاسلام . بصيراً بالآثار العلوية . عالماً بالافلاك والهيئة حاذقاً بالطب والفلسفة . ماهراً في العربية واللغة والآداب الاسلامية وسائر التعاليم الاوائلية . .

من رجل مرهق في دينه مضطرب في تدبيره سيء الظن بمعارفه شديد الحذر على نفسه فاسد التوهم في ذاته . عجيب الشأن في تفاوت احواله . وولد أعشى ضعيف البصر متوقد الخاطر فقرأ كثيراً في حال عشاه ثم طفئ نور عينيه بالكلية فازداد براعة . ونظر في الطب بعد ذلك فانجح علاجاً . وكان ابنه يصف له مياه الناس المستفتين عنده فيهتدي منها الى ما لا يهتدي اليه البصير ولا يخطئ الصواب في فتواه ببراعة الاستنباط وتطبب عنده

الاعيان والملوك والخاصة فاعترف له بمنافع جسيمة وله مع ذلك اخبار كثيرة مأثورة

عميان يؤلفون

تكاد تكون قاعدة لا تتخلف ان من فقد احدى حواسه تقوى فيه غيرها فمن فقد بصره مثلاً تقوى ذاكرته ومن فقد سمعه يشتد ادراكه . ولما قرأت ترجمة هوميروس الشاعر اليوناني وعلمت انه كان ضريراً وقرأت ترجمة ملتون الشاعر الانكليزي وعلمت انه كان كذلك وقرأت ترجمة ابي العلاء المعري الشاعر العربي وقلت انه كان مثلهما وقرأت ترجمة ابن الخياط وقع في نفسي ان اكتب مقالاً في عميان صنفوا واجادوا ايام كان العرب يؤلفون ويجيدون

فمنهم قتادة بن دعامة كان اكمه وكان يقول لقائده سعيد بن أبي عروبة تجنب بي الحلق التي فيها الخطأ فانه ما وصل الى سمعي شيء فاداه الى قلبي فنسيه . وكذلك كان بشار بن برد رأس طبقة شعراء المولدين اكمه وغاية في ذكائه وتوقد خاطره . وكان ابن الثماني نحوياً الف فيه وانتفع بالاشتغال عليه جمع كثير توفي سنة ٤٤٢ هجرية وكان شمس الدين بن جابر الاندلسي ضريراً وهو صاحب بديعية العميان وله امداح نبوية كثيرة وتآليف منها شرح الفية بن مالك وغير ذلك وله ديوان شعر جيد توفي سنة ٧٨٠ . وكان ابو بكر بن هذيل الكفيف عالم أدباء الاندلس اخذ عنه صناعة الادب جماعة منهم الرمادي الشاعر القرطبي المشهور . وكان ابو عبد الله محمد بن الصفار القرطبي حافظاً للآداب اماماً في علم الحساب مع انه كان اعمى مقعداً مشوه

الخلقة ولكنه اذا نطق عرف كل منصف حقه

وكان العلامة ابو القاسم الشاطبي صاحب حرز الاماني والعقيلة وغيرهما المقري الفقيه الحافظ من كبار أئمة الاسلام مكفوف البصر قوي الحفظ وكان يقول عند دخوله الى مصر انه يحفظ وقر بعير من العلوم وكان عالماً بكتاب الله قراءة وتفسيراً وبحديث رسوله مبرزاً فيه وكان اذا قرئ عليه صحيحا البخاري ومسلم والموطأ يصحح النسخ من حفظه ويلي النكت على المواضع المحتاج اليها وهو اوحد في النحو واللغة. وكان ابو البقاء العكبري شارح ديوان المتنبي وغيره من الكتب الجيدة مكفوف البصر حاسباً فرضياً نحوياً ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله في فنونه وكان الغالب عليه علم النحو توفي سنة ٦١٦

وكان ابن سيده المرسي الحافظ اماماً في اللغة والعربية جمع في ذلك مجموعاً منها كتاب المحكم في اللغة وكتاب المخصص الذي طبع حديثاً وله غيره من الكتب الممتعة التي لم يؤلف في فنها مثلها وكان ضريراً وابوه ضريراً ايضاً وكان ابوه قيماً بعلم اللغة وعليه اشتغل ولده في اول امره توفي ابن سيده سنة ٤٥٨ وكان يحفظ عشرات من امهات كتب اللغة. وكان ابو الحسن علي ابن عبد الغني الفهري المقري الشاعر عالماً بالقراآت له عدة تآليف توفي سنة ٤٨٨. ومن مشايخ عبد اللطيف البغدادي الفيلسوف المشهور الوجيه الواسطي كان تلميذه يحفظه ويحفظ معه ثم يذهبان الى كمال الدين عبد الرحمن الانباري فيقرأ درسه.

وكان ابو الحزم المكسيني الموصلي المقري النحوي المتوفى سنة ٦٠٣ جامع فنون الادب وحجة كلام العرب اخذ الناس عنه وانتشر ذكره في

البلاد وله رواية واسعة . وكان خليفة ابي العلاء المعري في سماه وادبه وهو نحو منحاه . وكان ابو عبد الله هشام بن معاوية النحوي الكوفي ضريراً وله عدة تصانيف في النحو ومن جملة من اخذ عنه الخليفة المأمون. وكان ابو المظفر ابن ابراهيم العيلاني المصري الاعمى شاعراً مجيداً صنف في العروض وله ديوان توفي سنة ٦٢٣ وكان ابو القاسم بن الخطيب الاندلسي صاحب الاشعار الكثيرة والتصانيف الممتعة المتوفى سنة ٥٨١ مكفوفاً ضريراً

وكان ابو عيسى ابن الضحاك السلمي الحافظ المشهور احد الائمة المصنفين في الحديث ضريراً . وكان ابو العيناء صاحب النوادر والشعر والادب مكفوفاً كف بصره وقد بلغ الاربعين . وكان ابو بكر ابن لدهان النحوي الواسطي ضريراً وهو من مدرسي النظامية . وهكذا لو تقصيت اسماء الرجال لقرأت العجب من احوال أولئك العميان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

الحق مشاع

لعل بعض الناظرين في هذا العنوان يعده خروجاً عن القصد وخطلاً في القول وضلة عن سبيل السلامة وما حكم من بادر الى التنديد بادىء الرأي إلا حكم من استفواه الهوى واستهواه الغرض فان الحق كان ولا يزال مشاعاً بين الامم والبلدان والمذاهب وما قط كان وقفاً على أمة معينة ولا على بلد خاص ولا على مذهب معلوم . الحق كنز ثمين يأخذ كل منه بحسب استعداده واسبابه بل نور يعم العالمين على قدر خلاصهم من العوائق وبصرهم بالاستنارة به

يخطىء كل الخطأ من يذهب الى ان كل ما يعتقده أهل المذاهب والنحل لا دليل له من الحق وان اهل النحل المتعددة في الاسلام مثلاً كالاباضية

والسنية والمعتزلة والشيعة قد ضلوا إلا قليلاً والحقيقة التي يقتضي اعتبارها ان الحق تقسم بين اهل هذه المذاهب والنحل ومن اراد ان ينشده فلا يتأتى له ذلك إلا بالنظر فيما كتبه أئمة هذه المذاهب ثم ينخل ما يقرأه ويتحل ما يراه الحق المطلق وهكذا الحال في العلم الذي هو من الاوضاع البشرية فانه ما خص بقبيل ولا بجيل بل هو موزع على القدماء والمحدثين والشرقيين والغربيين

توخيت ان أصرح هنا بهذا الفكر على جليته حباً بتقرير جملة تقطع السن من يشاغبون في كل ما لم تألفه اسماعهم ويعتقدون ان ما لم يعرفوه ولا آباؤهم ليس من الحق في شيء . فلا يعظمن على بعضهم اذا قرأوا في طريد هذه الصحيفة ما لا ينطبق مع رغباتهم فالعلم كالحق كثير الافنان والفنون لا دين له ولا نحلة وناشره معه خازن أمين يجمعه ليصرفه عند مسيس الحاجة. وربما كان فيما يجمعه كحاطب ليل يجمع بين الجيد والرديء ولا يكاد يشعر ولذلك كان على من أوتي نوراً من الحق اكثر من غيره ان يقبسه صاحبه ويدله على عوراته .

فقد خالف ابن عباس عمر وعلياً وزيد بن ثابت وكان اخذ عنهم وخالف كثير من التابعين بعض الصحابة وانما اخذوا العلم عنهم وخالف مالك كثيراً من اشياخه وخالف الشافعي وابن القاسم واشهب مالكاً في كثير من المسائل قال ابن الازرق وكان مالك اكبر اساتيذ الشافعي وقال لاحد أمنّ عليّ من مالك وكاد كل من أخذ العلم عنه ان يخالفه بعض تلامذته في عدة مسائل وما عدّ ذلك من سوء أدب التلميذ مع شيخه ولا من الخروج عن مراجعة الحق الذي توزعته عقول الناس ونال كل منهم قسطاً منه .

روى ابن جرير عن ابي مخنف عن الصقعب بن زهير عن الحسن قال

أربع خصال كنّ في معاوية لو لم يكن فيه منهنّ إلا واحدة لكانت موبقة انتزاؤه على هذه الامة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة واستخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير وادعاؤه زياداً وقد قال رسول الله (ص) الولد للفراش وللعاهر الحجر وقتله حجراً ويلاً له من حجر واصحاب حجر مرتين — روى ابن جرير هذا وما عدّ من الشيعة

ورأى المنذر بن سعيد ارجوزة لابن عبد ربه يذكر فيها الخلفاء ويجعل معاوية رابعهم ولم يذكر علياً فيهم ثم وصل ذلك بذكر الخلفاء من بني مروان الى عبد الرحمن بن محمد فلما رأى ذلك منذر غضب وسب ابن عبد ربه وكتب في حاشية الكتاب

او ما علي لا برحت ملعناً يا ابن الخبيثة عندكم بامام
رب الكساء وخير آل محمد داني الولاء مقدم الاسلام

قال هذا منذر بن سعيد قاضي الجماعة بالاندلس وما عدّ شيعياً . وكم في تاريخ السلف من أمثال هذه الانباء التي تدلنا على مبلغ حرية القوم وان الحق مشاع ليس وقفاً على فئة وان التقيد برأي واحد او عدة آراء ولاسيما في المسائل العلمية ليس من السداد في شيء بل هو سبب عظيم من اسباب انحطاط العلم في الشرق

الفينيقيون

منقولة عن الافرنجية

« صور وقرطاجنة »

وصفها فينيقية من بقاع الارض الضيقة طولها خمسون فرسخاً وعرضها من ثمانية فراسخ الى عشرة وهي بين بحر سورية وأعلى سلسلة في جبل لبنان. بل هي على التحقيق عبارة عن سلاسل اودية ضيقة ومجار حرجة متخللة بين هضاب وعرة ممتدة الى البحر ومسايل من الثلوج . تعبث بها العواصف الى آخر الربيع أما في الصيف فينضب ماؤها إلا ما خزن منه في الآبار والصهاريج. ولقد كسيت جبال هذه الناحية بالاشجار فكان في القمم أرز لبنان المشهور وفي المنحدرات الصنوبر والسرو وفي السفوح اشجار النخيل بالقة شاطيء البحر وفي الاودية ينمو الزيتون والكرم والتين والرمان

مدنها — تتألف عن بعد على طول الشاطيء الصخري رؤوس من البحر او جزر منه تكون منها مرافئ طبيعية ففي هذه الموانى أقام الفينيقيون مدنهم. فقامت صور وارواد في جزيرة يزدحم فيها السكان في المنازل وكانت ذات طبقات ست وسبع وثمان ويجلبون الماء لشفاههم في القوارب . أما مدينة جبيل وبيروت وصيدا فكانت في اليبس. ولم تكن أرض هذه البلاد لتقوم باود هذا العدد الدثر من الناس ولذلك مال الفينيقيون الى الملاحة والتجارة .

الخرائب الفينيقية — لم يحفظ عن الفينيقيين كتاب فقد ضاعت حتى كتبهم المقدسة . ولقد جرى الحفر في مواضع مدنهم ولكن الخرائب على ما قال العالم المندوب الى ذلك لم تسلم إلا في البلاد المهملة المتروكة . على ان السوريين عنوا كثيراً بالخرائب فانتهكوا حرمة القبور واخذوا حلي الموتى

وهدموا العمارات ليستعينوا باحجارها على البناء وحطموا النقوش وذلك لكراهة المسلم الصور المنحوتة بحيث لم يبق اليوم سوى شقيف من الرخام المحطم واحواض ومعاصر نحتت في الصخر وبضعة نواويس من الحجر . اطلال قلما تجدي نفعاً وتأتي العلم بفوائد . وليس ما عرف عن الفينيقيين إلا ما علمناه كتاب اليونان وانبياء اسرائيل

حكومة الفينيقيين — لم تكن فينيقية مملكة قائمة برأسها بل كان لكل مدينة ناحية صغيرة تستقل بها ولها مجالس وملك تحكم نفسها بنفسها وتبعث بمندوبيها الى أعظم مدينة فينيقية لفض المصالح المشتركة وكانت صور محط رحال المندوبين منذ القرن الثالث عشر . واذ لم يكن الفينيقيون أمة حربية خضعوا لسطوة جماع الفاتحين من مصريين واشوريين وبابليين وفرس وادوا لهم الجزية عن يد وهم صاغرون .

صور — كانت هذه المدينة منذ القرن الثالث عشر من أهم المدن الفينيقية ضاقت على أهلها فاقيمت اذ ذاك مدينة جديدة قبالتها . ولقد أسس تجار صور مستعمرات في البحر الابيض كله يصيبون الفضة من مناجم اسبانيا وسلع العالم القديم أجمع . دعاهم أشعيا النبي الامراء ووصف حزقيال النبي تلك القوافل التي كانت تأتيهم من كل صوب وأوب وطلب سليمان النبي الى هيرام احد ملوك صور عملة يشغلهم في بناء القصر والمعبد في بيت المقدس .

قرطاجنة — كانت هذه المدينة مستعمرة صور فقاقت هذه بالعظمة وذلك ان الصوريين نبذتهم احدى الثورات فاسسوا مدينة قرطاجنة على شاطيء افريقية بالقرب من تونس بعثتهم على ذلك امرأة اسمها ايليسار ونحن ندعوها ديدون (الفارة) . ويحكى ان سكان البلاد ابوا ان يبيعوها إلا مسافة تكفي

لتغطية جلد ثور فقصلت جلد الثور سيوراً رقيقة بحيث اقتضت مكاناً واسعاً يستوعبها فبنت القلعة اذ ذاك . ولقد اتسمت قرطاجنة لموقعها في منتصف البحر الرومي ولان فيها مرفأين فاقامت هي أيضاً مستعمرات وفتحت فتوحاً حتى آل امرها الى ان حكمت شاطيء افريقية باجمعه واسبانيا وسردينيا وكان لها في كل مكان مكاتب لتجارتها ورعايا يؤدون لها الجزية

الجيش القرطاجني — اقتضى لقرطاجنة ان تدرب لها جيشاً لتصون مكاتبها التجارية من حيف الوطنيين وتربأ برعاياها عن الانتقاض . ومن ثم كانت حياة القرطاجني ثمينة لا يخاطر بها إلا عند الضرورة . آثرت قرطاجنة اكتراء الجند فجندت لها جنداً من البربر سكان بلادها ومن منتشرذي كل صقع وناحية فصارت صبغة جيشها مبرقشة ملونة يتكلم اللغات كلها ويدين بالاديان كافة . ولكل جندي بزته واسلحته الخاصة به تخالف بزة رصيفه واسلحته . فترى فيهم النوميديين يلبسون جلد الاسد يتخذونه وطاء كما يتخذونه غطاء يركبون خيلاً سريعة صغيرة بدون نظام ويطلقون القوس وخيولهم تعدو عدواً . كما كنت ترى فيهم الليبيين وجلودهم سوداء مسلحين بحراب . وطائفة من الايبريين في اسبانيا لباسهم بياض مزين بحمرة وسلاحهم سيف طويل محدد . وغاليين عراة الى الزنار يحملون تروساً كبيرة وسيفاً محدباً يمسكونه بكلتا يديهم . وجماعة من البالياريين مدربين من طفوليتهم على رمي الحجارة او كرات الرصاص بالمقاليع . أما القواد فكانوا قرطاجنيين تخافهم الحكومة فترقبهم عن أمم وربما صلبتهم اذا غلبوا ولم يحرزوا نصراً مؤزراً

القرطاجنيون — كان في قرطاجنة ملكان والامر والنهي لمجلس الشيوخ وهو مؤلف من أغنى تجار المدينة ولذلك كانت كل قضية ينهى بها الى الحكومة

مسألة تجارية . كره الناس القرطاجنيين لقسوتهم وطمعهم وغدرهم ولما كان لهم أسطول منظم وعندهم بدل يستأجرون به جنداً وحكومة باطشة تهيأ لهم توطيد دعائم ملكهم في غرب البحر المتوسط مدة ثلاثة قرون (من القرن السادس الى الثالث) بين ظهراني شعوب بربرية منشقة على نفسها مختلفة كلمتها

الديانة الفينيقية - للفينيقيين والقرطاجنيين دين يشبه الديانة الكلدانية فالرب الذكر ويسمى عندهم بعل هو الشمس والربة الانثى وتدعى بعلت هي القمر . والشمس والقمر في نظر الفينيقيين قوى هائلة تحيي وتميت . ولكل من المدائن الفينيقية ربان . فلصيدا بعل صيدون (الشمس) وعشتروت (القمر) ولقرطاجنة بعل عمون وتانيت ولجبيل بعل تموز وباليت . ويختلف اسم الارباب في الاعتبارات ايجاداً وعدماً وهكذا يعبد بعل مثلاً في قرطاجنة باسم مولوش ويعتبر عدماً . وقد تنوب عن هذه الارباب أصنام ولها معابد ومذابح وكهنة يعظمون من شأنهم ويقيمون لهم المآدب والاعياد الحافلة باعتبار كونهم موجدين ويقدمون لهم ضحايا بشرية باعتبار كونهم مخربين وتعبد عشتروت ربة الصيد العظيمة في الغابات المقدسة ويصورونها على شكل هلال القمر والحمامة ويرسم بعل مولوش في قرطاجنة تمثالاً عظيماً من القلز باسطاً ذراعيه ومدليهما واذا ارادوا تسكين غضبه يرفعون على يديه اطفالا تسقط للحال في هاوية من نار . وقد قدم اعيان مدينة قرطاجنة مائتي طفل من اولادهم ضحايا للربة مولوش في خلال حصار اغاثوكل لقرطاجنة

هذا وان تلك الديانة على ما نشأت عليه من الشهوات وسفك الدماء لترهب الشعوب الاخرى ولكنهم يحاكونها ويأتمون بها فكان يذبح اليهود

لبعل على الجبال ويعبد اليونان استارتيه وصيدون باسم افروديت وبل ملقارت من صور تحت اسم هيراكليس

التجارة الفينيقية

اشغال الفينيقيين - عاش الفينيقيون بالتجارة لازدحام أقدامهم في بقعة ضيقة من الارض . ولم يكن لسائر شعوب الشرق من مصريين وكلدانيين واشوريين ولا قبائل الغرب البربرية (الاسبان والغاليين والطليان) عهد بركوب البحار وشق العباب والفينيقيون وحدهم جرأوا في تلك الايام على تجشم البحر فصح ان يدعوا من اجل هذا عملاء تجارة العالم القديم وقادة البيع والشراء يبتاعون من كل شعب سلعه ويتقايضون معه على غلات البلاد الاخرى . تجارة كانت مستحكمة الصلات مع الشرق براً والغرب بحراً

القوافل -- اعتاد الفينيقيون ان يرسلوا في البر قوافل تتجه وجهات ثلاث احداها الى بلاد العرب لتأتي منها بالذهب والعقيق اليماني والبخور والصبر وعطور بلاد العرب واللؤلؤ والابازير والعاج والابنوس وريش النعام وقرود الهند. والقافلة الثانية ترحل الى بلاد اشور لتعود منها بانسجة القطن والكتان والحمر والاحجار الكريمة والماء المعطر وحرير الصين . وتقصد القافلة الثالثة انحاء البحر الاسود لتستجلب منها الخيل والرقيق والاواني النحاسية من مصنوعات سكان جبال قافقاسيا « القوقاز »

بحريتهم - بنى الفينيقيون بخشب ارز لبنان المتين قوارب باشرعة ومجاذيف حملوا عليها متاجرهم البحرية وما مست حاجتهم ان يكونوا ابداً على مقربة من الشواطئ في ركوبهم البحر اذ كانوا يتجهون حيثما ارادوا بجعل نجمة القطب قيد نواظرهم وكانوا يستدلون بها على الشمال . ولقد فطر

الفينيقيون على الاستخاف بركوب اليمّ فالفوا بانفسهم في مراكب صغيرة تغدو بهم وتروح في اطراف البحر الرومي بل جرأوا على اجتياز مضيق جبل طارق او كما دعاه القدماء « اعمدة هيركول » فيجتازون البحر المحيط الى شواطئ انكلترا وربما بلغوا بلاد الثروج . سافرت عصابة منهم في خدمة احد ملوك مصر في القرن السابع وجازت البحر الرومي لتطوف حوالى افريقية ثم رجعت على ما قيل بعد ثلث سنين من البحر الاحمر وغادرت قرطاجنة حملة ضربت نحو شاطئ افريقية الى خليج غينة . وقد كتب القائد حانون قصة في هذه الرحلة

البضائع -- كان الفينيقيون يبتاعون محاصيل صناعات الشعوب المتمدنة ويحثون في البلاد المتوحشة عما يقل الظفر به في المشرق من المحاصيل . يصطادون الصدف من شاطئ بلاد اليونان ومنه يستخرجون صباغاً احمر وهو الارجوان . وكانت الانسجة الارجوانية تستعمل عند الاقدمين كافة ملابس للملوك والامراء ويجلبون الفضة التي يستخرجها أهل اسبانيا وسردينيا من مناجمهم وكان القصدير من ضرورياتهم يستعملونه في صنع النحاس الاصفر وهو مركب من نحاس وقصدير لا أثر له في بلاد الشرق ولذا كان الفينيقيون يرحلون في طلبه وينشدونه حتى في شواطئ انكلترا في جزائر القصدير المعروفة بجزائر كاسيتريد . وحيثما حلوا يتخذون الرقيق يبتاعونه تارة كما كان يبتاع النحاس العبيد في ساحل افريقية . اذ الشعوب القديمة كلها كانت تجر بالرقيق . وينزلون طوراً في احدى السواحل فجأة فيختطفون النساء والاطفال وينقلبون بهم الى بلادهم او يبيعونهم في القاصية . واذا واتتهم الحال ينقلبون قرصاناً ولا يتحامون إطالة يد التعدي على الاغيار

سر اختص به الفينيقيون — لم يقلق الفينيقيون إلا من قيام بحارة لائم الاخرى الى منازعتهم السلطة على البحار ومجاراتهم في الملاحة والاتجار فمن ثم كانوا يكتمون الطريق التي يسلكونها لدن عودتهم من الاقطار النائية ولذا لم يعرف احد في القديم جهة جزائر الكاسيتريد المشهورة التي جلبوا منها القصدير . وقد رأت احدى المراكب بلاد اسبانيا التي كانت لها صلات تجارية مع فينيقية منذ قرون عرضاً بدون تعمل . وكانت قرطاجنة تفرق من تصادفهم من التجار الاجانب في سردينيا او في ناحية جبل طارق حتى ان ربان احدى المراكب أغرق سفينته ذات يوم عند ما رأى سفينة غريبة تطارده مخافة ان تطلع على خطة سيره

مستعمراتها — انشأ الفينيقيون مكاتب تجارية في البلاد التي اتجروا فيها وهي مراكز للبرد حصينة واقعة على شاطئ بحر على مرفأ طبيعي يخرجون اليها بضائعهم وهي في العادة النسجة وتخار وحلي واصنام فيأتي أهل تلك البلاد بغلاتهم فيقايضونهم عليها كما يقايض اليوم تجار الاوربيين زنوج افريقية . تقام أمثال هذه الاسواق في قبرص ومصر وجميع بلاد البحر الرومي التي كانت على ضفتيها مثل اقريطش (كريت) وبلاد اليونان وصقلية وافريقية ومالطة وسردينيا وشواطئ اسبانيا (مالقة وقادس) وربما أقاموها في بلاد الغول (موناكو) وكان اهل البلاد يبنون اكواخهم حول بنايات الفينيقيين فيصبح السوق مدينة ويقتبس السكان ارباب الفينيقيين وقد دامت عبادة ربة على صورة الحمامة حتى بعد ان صارت المدينة يونانية كما في سيتير وارب ملخارت كما في كورنت ورب ذو جبهة ثور يفترس الضحايا البشرية كما في اقريطش

نفوذ الفينيقيين — لم يكن يخطر للفينيقيين شيء على بال لما أسسوا مكاتبهم التجارية إلا الاحتفاظ بمصلحتهم الخاصة ولكن حدث ان نفعت مستعمراتهم التمدن فان برابرة الغرب اخذوا عن أمم الشرق وكانت اكثر منها تمدناً كيفية صنع الانسجة والحلي والماعون وتعلموا محاكاتها . مضى حين من الدهر واليونان لم يعرفوا غير الاواني والحلي والاصنام التي يأتيهم بها الفينيقيون وعلى منوال هذه البضائع نسجوا بعد فان الفينيقيين حملوا من مصر واشور الصناعة والبضائع معاً

الابجدية — حمل الفينيقيون ايضاً الى البلاد التي نزلوها ابجديتهم وحروف الهجاء ولم يخترعوا الخط اذ كان المصريون يعرفون الكتابة قبلهم بقرون وقد استعملوا حروفاً تدل كل منها على صوت كما هو الحال في حروف الافرنج . على ان خطهم كان مشوشاً بعلامات قديمة يدل بعضها على مقطع وآخر على كلمة برمتها . لا جرم انه اقتضى للفينيقيين اذ ذاك طريقة أبسط لكتابة رسائلهم التجارية فاطرحوا العلامات كلها من مقاطع وصور ولم يبقوا سوى اثنين وعشرين حرفاً يدل كل منها على صوت او على لفظ باللسان فاقتبست الشعوب الاخرى هذه الابجدية المؤلفة من اثنين وعشرين حرفاً . فقد كتب اليبود من اليمين الى الشمال كما كتب الفينيقيون وكتب غيرهم كاليونان من الشمال الى اليمين وكلهم بدلوا اشكال الحروف إلا قليلاً . والخط الفينيقي على التحقيق أصل الابجديات كلها من يهودي وليسي ويوناني وايتاليكي وابتروسكي واسبيرسكي وربما كان الخط النروجي ايضاً فالفينيقيون هم الذين علموا العالم الكتابة

حسنات القرن الماضي وسيئاته

لقد تناول الانقلاب الذي طرأ على الاخلاق العامة أسلوب الطعام ايضاً فان سرعة المواصلات وسهولتها وميل الحواس الظاهرة وارتقاءها قد ابدل ضرورة الطعام بضرورة الحس الظاهر بمعنى ان الانسان رجاء ارضاء شهواته الذوقية قد تعدى حدود القناعة بان اثار الشهوات الصناعية بالتوابل الخاصة والمنبهات الداعية الى النهم حباً بالاكثار من ضروب الاطعمة والملاذ فقد انتشر فن الطبخ واجادة الالوان في الاقطار على اختلافها من حيث الحرارة والبرودة وما اختلفت كياته وكيفياته . كل ذلك لتحقيق شهوات النفوس واذواق السكان في انواع الطعام دون النظر الى ما يحول دون ذلك من عدم الملاءمات الشخصية والمكانية مع هذه الطريقة في التغذية المختلفة الالوان والاشكال . وما اصدق ما قاله احدهم من ان ما نتناوله اليوم من الاطعمة ينقسم الى ثلاث درجات احدها لضرورة الغذاء وثانيها لضرورة الذوق وثالثها توقعاً للامراض التي تصيبنا في المستقبل . وقال شيشرون الخطيب الروماني: لقد احدث الشره من المصائب اكثر مما احدث الحرب فانه مصدر كثير من الاوصاب والادواء . فارباب الشره مستسلمون لعاداتهم في طعامهم وشرابهم بحكم الذوق لا بحكم الضرورة ولذلك تراهم عرضة لكثير من الامراض ومنهم من يغتر بما يكرعه من المياه المعدنية في فرنسا والنمسا (في فيشي وكارلسباد) وسائر البلاد التي تنبجس فيها امثال تلك المياه فترى في كل سنة يزور كلاً من تينك البلادين زهاء خمسين ألف زائر ويغرهم تسهيلها الهضم معهم حتى اذا رجعوا الى أهلهم قريرة أعينهم بما شاهدوه من التحسين في صحتهم يعودون الى سالف عاداتهم من النهم والبطنة « والبطنة كما قيل تأفن القطنة » فيندمون

على ما فرطوا في جنب معدهم ولكن بعد ان يسبق السيف العذل

وان السواد الاعظم من العاملين الذين يتألف منهم جيش المجاهدين في الحياة ليقضون النهار في اماكن محصورة بعضهم في مصنع وآخر في غرفة عملهِ وفريق في مكتب وغيرهُ في مخزن وكلهم يعملون بلا انقطاع بايديهم او بعقولهم فيصرفون جميعاً جزءاً عظيماً من قواهم الطبيعية والعقلية ولا يتناولون اطعمتهم في اوقاتها ولا يرتاحون بعد غذائهم راحة كافية لتعمل الاعضاء الهاضمة عملها ولا يألفون من انواع المسليات غير اماكن القهوة ودور التمثيل فيستنشقون هواء ملوثاً باكسيد الكربون وحامض الكربون وغيرهِ من الهواء المنبعث من تضايق مئات من الانفاس المجتمعة في اماكن مغلقة يعوزها الترويح والهواء النقي المستنشق مما يؤدي بمن يختلفون الى تلك المحال الى اختلال احوال الهضم والبنية والقوة وتكون ابدانهم مرتعاً خصيباً لجراثيم الامراض وفي مقدمتها السلّ

وما جاء بهِ هذا القرن من الاعمال العلمية والعقلية والطبيعية قد اثر في تحيط الناس كل التأثير وخصوصاً في الغذاء والمجموع العصبي . وما احلى ما قالهُ ارسطو من ان الانسان يريد امتاع حواسهِ ويبحث عن اسبابهِ اذ من الملذ للباصرة ان تنظر وللسامعة ان تسمع وللجلد ان يمس وللسان ان يذوق وللشامة ان تستنشق

وجملة الامر ان نشوء المجتمع الانساني في القرن التاسع عشر قد جرى بقوة اجهاد المتواصل الذي اودى بحياة مئات الالوف من الضحايا البشرية وقد نبه في المجاهدين وفي اخلافهم حب الارتقاء والتهذيب العقلي بحيث دخل الفكر الانساني في دائرة من الحركة المجلة تسير ابداً الى غاية لا حد لها واملها ابداً في قلق حرصاً على كشف اسرار الطبيعة والانتفاع بقواها المكنونة والوقوف على القوانين القائمة بها . ولئن عني الانسان بقمع جماح الطبيعة وفتح الترع وحفر القنوات وابتناء الطرق الحديدية في القفار والسهول الواسعة المتجمدة حباً بربط القارّات بعضها ببعض فانهُ لم يعمل كل هذا رغبة في توسيع ميدان جهاده وزيادة في مصادر الثروة العامة والخاصة بايجاد مصارف لمصنوعاتهِ بل هناك شيء من سائق الفطرة دعاهُ ان ينقل بذور التمدن الى البلاد الشاسعة في آسيا وافريقية لانها ظلت مباينة لافكار الارتقاء والشعور الانساني وهما من خير ما انتجهُ القرن من صالح الاعمال ولكن هذا الجهاد العظيم الذي اضطرت الانسانية ان تحملهُ مدة قرن كامل قد احدث امراضاً مختلفة كما انهُ زاد الشقاء الاجتماعي واشتدت حرب الحياة بما لم يعهد لهُ نظير . نعم وقف ولاة الامر على فساد النظام الاجتماعي الحاضر وايقنوا بالحاجة الماسة الى مداواتهِ

يبدانهم تضاءلوا عن الاقدام عليهِ بداعي قلة ما لديهم من الاسباب في تخفيف نتائج حركة الارتقاء وضعف الاساس الذي يقوم عليهِ بناء المجتمع الحديث . على ان الفطرة هدتهم الى الاخذ من معارف حملة العلم في فروع المعارف الاجتماعية المختلفة والاهتداء بهديهم وخصوصاً فيما من شأنهِ ان يكون فيهِ النظافة العامة واصلاح حال الطبقة النازلة من العملة وكانت البلجيك اول الدولات التي دعت الدول الى مؤتمر صحي دولي سنة ١٨٥١ و١٨٥٢ ثم حذت فرنسا حذوها ومذ ذاك اصبحت المؤتمرات الصحية الدولية تجتمع كل سنتين في عواصم اوربا . وتنقسم هذه المؤتمرات بحسب معارف من تألف منهم فبعضها بالمباحث المتعلقة بالامم وباحصاء حركة الشعوب العامة في كل قطر وباسباب موت الاولاد في سن الطفولية وبحفر القنوات في المدن وارواثها بماء طاهر عذب . ويعنى البعض الآخر بالامراض السارية وطرق الوقاية منها . ويدرس بعضها الانسان من حيث صنعتهُ او حفظ صحتهِ في صناعتهِ من تغيير هواء المعامل والمصانع حيث يقيم العامل ويمس بيده مواد مضرة او تركيبات كيماوية تفعل فعل السموم او مواد نباتية او معدنية تخرج منها غبرة تسبب امراضاً رئوية . ويعنى بعضهم ببناء بيوت للعملة ومساكن رخيصة . ويبسط بعضهم جناح حمايتهِ على الاطفال في المدن الكبرى ويقوم على حفظ الصحة في المدارس . ويهتم بعضهم بوقاية الناس من السل والامراض الزهرية . ويبحث بعضهم في الطرق التي تحول دون انتشار تعاطي الالكحول . وبالجملة فكلهم يد واحدة يسيرون نحو غاية واحدة الا وهي درس كثير من المشكلات الصحية وتدبير الصحة العامة ليوفروا لكل مملكة سكانها ويكثروا سوادها ولينقبوا عن اسباب من شأنها ان تؤدي بالجنس البشري الى الكمال باصلاح ملكات الطبقة النازلة وتحسين غذائهم وتطهير الارض والهواء والماء استبقاء لصحة سكان المدن العظمى وتقوية للمقاومات الحيوية في الافراد ومقاومة لغارة جراثيم الامراض السارية

وبالنظر لارتفاع كلمة الاشتراكية في اوروبا اضطرت حكوماتها والطبقة العالية من علماء الاقتصاد فيها الى القيام باعمال تضمن سلامة العملة ومستقبلهم وبعنايتهم تألفت عدة جمعيات تتوخى بذل الاحسان للبائس والفقير وجمعيات متعاضدة على حب الخير . ووافقت دور الندوة والاندية السياسية في ممالك كثيرة على قوانين تقي الشيوخ والزمنى مصارع السوء وموارد الهلكة وتقوم باودهم في اوقات مرضهم ومصائبهم . ومتى عرف الناس كافة قيمة الهواء النقي والماء الجيد السائغ وما يفعلانهِ في الصحة والخطر الذي تتعرض لهُ الحياة البشرية من فساد الارض بالمواد الآلية العفنة متى عرف الناس هذا يقدرون الانطباع على الاعتدال

حق قدرهِ في اطالة الاعمار . ولا مندوحة للبشر اذا توفروا على اسباب النظافة والاعتدال ان يعنوا بتطهير الاخلاق العامة والخاصة من الشوائب وترقية الشعور الادبي في الافراد ومن مجموع هذه الصفات تتحقق نيات زعماء التمدن الحديث والداعين الى البلوغ بهِ اوج الكمال . واذا القيت رائد الطرف على ما تم في الاعوام الاخيرة ادركت ان ما انبعث في النفوس من الضياء يقوي املك في ان تتم القرن العشرون ما فات شقيقهُ الاكبر

وان ما ساعد الانسان على بلوغ درجة من الترقي فاق بها اسلافهُ في القرون الماضية هو « التعاضد والتكافؤ » فهو العمل الذي كان هامة التمدن في هذا القرن . ومن هذا النظام: ان من الاتحاد قوة L, Union fait la force وغاية هذا التكافؤ تقوية صلات الاسرات بالمعارف الاجتماعية ومساعدة المرء العاجز عن العمل من مرض وحادث او عطلة او شيخوخة او هرم فتألفت جمعيات حديثة غايتها ان تعطي رواتب ضمانًا للحياة او في حال الوفاة وقامت بعضها باعمال خيرية وتهذيبية صناعية وبذل بعضها مجهودهُ لنشر المعارف العلية في مدارس عملية وتأسيس خزائن كتب وحدائق للعملة وبعضها اخذت على نفسها القيام بالاعمال الصحية وتطهير المساكن وتحسين الشروط الحيوية في العملة وتعاهد بعضهم على مقاومة السل وذلك اولاً بالبحث عن اسباب الشقاء الاجتماعي ثم باحداث ملاجئ ومصاح . وتألفت بعض جمعيات للقيام بحماية الامومة والطفولة . ناهيك بان مبدأ التكافل الاجتماعي قد اشربت النفوس حبهُ في البلاد الافرنجية حتى ان فرنسا بعد ان كان فيها عام ١٨٩١ ٩١٤٤ جمعية واعضاؤها ١ ٤٧٢ ٢٨٥ ورأس مالها ١٨٣ ٥٨٧ ٤٥٠ فرنسك قد صارت سنة ١٩٠٤ ١٨٥٠٠ جمعية واعضاؤها ٣٧٠٠٠٠٠ ورأس مالها ٣٨٠ مليونًا ودخلها ٥٤ مليونًا . وكفى بانهُ تألف في شهر ابريل فقط سنة ١٩٠٤ في فرنسا ١١٧ جمعية جديدة

هذا ولا ريب انهُ ستعظم صلات التكافؤ بين مصالح الافراد ومصالح الاسرة البشرية العظمى بكثرة تلك الجمعيات الراقية وتأصل ملكة التكافل الانساني فتزيد تلك الصلات في كل يوم عن اسمهِ توطيدًا . وكيفما دارت الحال فان هذا يعد من الارتقاء العظيم في السلم الاجتماعي على حين كان معدودًا من قبل من الخيالات الباطلة ولا بد ان يأتي يوم يعد فيهِ من الضرورات للسلامة العامة . فان افتخر القرن التاسع عشر بان بسط المشاكل الاجتماعية ومثلها على بساط الوجود فمن الفروض المتحتمة على القرن العشرين ان يأتي على حلها الى عالم الشهود اه

تعليم العميان

اهتم العالم المتمدن في الايام الاخيرة بتعليم العميان اذ رأى عظماء الاجتماع انهم يصلحون لاعمال كثيرة لا يصلح لها اغلب المبصرين كذلك مثل التوقيع على آلات الموسيقى والغناء وغيرهما من الفنون الجميلة . وليس تعليم العميان في الغرب بعيد العهد كثيرًا بل يرد عهده الى النصف الاخير من القرن الثامن عشر . فقد اسست سنة ١٧٨٤ في باريز اول مدرسة للعميان وكانت قراءة التلامذة في هذه المدرسة باستعمال الحروف البارزة . وفي سنة ١٧٨٦ عرض فالانتين هاي الذي اشتهر بحب الانسانية وتفانيه في خدمة بني جنسه تلامذته على الملك لويس السادس عشر وحاشيته في بلاط فرسايل . وفي تلك السنة نفسها نشر مقالة في تعليم العميان شرح فيها طريقته . ولكن هاي لم يكن غنيًا وحدث ان نضب نبع عطاء الكرام فعجز هاي عن اتمام عمله فقررت الحكومة الفرنسوية ان تاخذ المدرسة تحت حمايتها لتنفق عليها من ماليتها وكان ذلك في سنة ١٧٩١

وقد اخذت بلاد الانكليز من فرنسا تلك الطريقة الشريفة فاسست في انكلترا مدرسة العميان بليفربول وملجأ العميان في ادنبرج ومدرسة العميان في لندن وغيرهذه في بلفاست ودوبلين و يورك . وفي سنة ١٨٦٨ اسس الدكتور ارمتياج جمعية معاونة العميان وكان غرض هذه الجمعية ترقية تعليمهم فاسست المدرسة الملوكية لتعليم الموسيقى وكان الغرض من تأسيس هذه المدرسة ترقية تعليم فن الموسيقى لانه كان الفن الوحيد الذي برع فيه العميان لسهولة تعليمهم اياه وقد نجح في هذه المدرسة ٨٩ في المئة وكلهم اليوم في مكنة من الكسب والتعيش بصنعتهم . وقد رأى القائمون بامر هذه المدرسة ان اهم شيء في تعليم العميان هو تقوية اجسامهم وتربيتهم تربية بدنية عقلية وذهب بعضهم الى ان العمى ليس هو السبب الوحيد في خيبة المصابين به بل السبب في خيبتهم انما هو خمولهم وضعف الارادة والعزم فيهم فادخل في هذه المدرسة كثيرًا من الالعاب الرياضية كالمشي والعدو والطعن والسباق وركوب الدراجة والتجذيف والانزلاج على الثلج . وكان التهذيب العقلي يشمل تقوية الفكر وتنمية قوة الملاحظة والذاكرة وتنبيه الميل الى الدرس والمطالعة والتمرين على النطق بالتأني مع قلة الكلام . وفرض على كل طفل اعمى ان يتعلم فن الكتابة على آلة الكتابة المسماة تيبرايتر ويختص البنات بتعلم الخياطة والحياكة وصنع الحلل

واول من اخترع حروفًا لقراءة العميان اسباني اسمه فرنسيسكو لوكاس اخترع طريقة

حفر الحروف على الواح الخشب وقدم هذه الطريقة الى الملك فيليب الثاني ملك اسبانيا ثم اخترعت طريقة للقراءة غريبة وهي استعمال الدبابيس والوسائد بدل الحروف والطروس . واخترع الماني طريقة القراءة بتجويف الورق النليظ . وعلم بهذه الطريقة الآنسة باردين التي نبغت في فن الموسيقى نبوغاً عظيماً

وتدل الاحصائيات العلية على ان عدد العميان قد اخذ ينقص شيئاً فشيئاً فقد كان في انكلترا وويلس في سنة ١٨٥١ اعمى واحد من كل ٩٧٩ وفي ١٨٦١ كان فيهما اعمى في كل ١١٣٨ وفي ١٨٩١ كان فيهما اعمى واحد في ١٢٣٥ و ينسب هذا النقص الى ترقي فن الجراحة البصرية واهتمام الاطباء بدرس امراض العين واعتناء الاهلين بعيون ابنائهم عند ولادتهم . وفي انكلترا وويلس ٢٥ مدرسة للعمي و٣٣ معملاً لتعليم الحرف و٤٦ جمعية تختص بفحص احوال العمي وتدبير امورهم . والصنائع الشائعة التي تعلم في هذه المدارس هي عمل السلال والفرش والحصر والاكياس والحبال والمكابس والبسط والسلك والكراسي للذكور والخياطة والغزل والنسج للاناث وقد افاض الاغنياء على هذه المدارس وهباتهم الجمعيات والمعامل ضروب العطاء وجاد كثير منهم بارزاق واسعة بعد موتهم وقفوها على تعليم العميان واصلاح حالهم

وبعد فلا يسعني بعد ان اتيت على ما اتيت عليه من اخبار العمي وتعليمهم الاّ ان احيي الغرب وبنيه الذين احسنوا الانتفاع بكل شيء وعلموا حتى العميان واوجب الشرق واهله الذين اساءوا استعمال كل شيء واهملوا حتى تعليم المبصرين . فالله در ارض يبصر فيها المكفوفون ولا در ارض يعمى فيها الناظرون وسقيا لجدث شاعرنا الذي قال

ان يأخذ الله من عينيّ نورهما ففي فؤادي وقلبي منهما نور

القاهرة محمد لطفي جمعة

جيوش المستقبل

جاء في العدد الاخير من مجلة البابيروس التي ينشئها صديقي ميخائيل مونان الكاتب الاميركاني البليغ مقالة من قلمه تحت عنوان « صورتان » يقابل فيها بين كلام لكارليل في الحرب وكلام لكارل مركس (١) فاستحسنت نقلها الى المقتبس لارجاء نشر محاسن مجلة صديقي الصغيرة النفيسة التي لا تنفعها الشهرة العربية بل حرصاً على بث رأي الفيلسوف الالماني الجليل وحباً بالسلم العام الذي لا يستتب كل الاستتباب الا اذا تأصلت جرثومة بغض الحرب في قلب كل انسان . لكارليل فصل مشهور يصف فيه جيشين متعادين واقفين في ساحة القتال ينتظران اوامر قوادهما على حين ليس من عداوة بين رجال الجيشين ولا ثأر ولا ترات ولا يحملهم على القتال شيء من الضغائن الشخصية ولا دعاهم الى ساحة الحرب داع من دواعي الأمة والوطنية التي يحسبها بعضهم شريفة جليلة فهم هناك امتثالاً لارادة حكامهم المطلقة وطوعاً لاوامرهم العالية . هم ثمت لا لاسباب لها مساس بشؤونهم العالمية ولا لدواع تستلزمها مصالحهم الخصوصية ولا لاغراض ينتفعهم تعزيزها وتنفيذها ولا لمبادئ يبتهم نشرها ومعرفتها وتراهم مع هذا هجروا نساءهم واولادهم وبيوتهم وآباءهم وأمهاتهم وكل ما يرغبهم في الحياة ليريقوا دماءهم الطاهرة ودماء غيرهم من الابرياء من اجل اهواء حكامهم الخبيثة او مطامعهم الباطلة . وفي كلا الجيشين كهنة يحرضون الرجال على القتال ويزينون لهم الجهاد في سبيل الأمة والوطن . يزينون لهم سفك الدماء الذي يؤهلهم الى الخلاص بالمسيح كما يزعمون . ويبرهنون لهم احسن برهان بان عملهم هذا مطابق للارادة الالهية التي يمثلها في حكامه المختارين المباركين ولما كان الكهنة يعزون مثل هذا الجهاد الى ارادة الاهية

---

(١) هو شيخ الاشتراكيين وزعيمهم (١٨١٨ ـ ١٨٨٣) وكتابه « رأس المال » شبه انجيل عند اصحاب هذا المبدإ . يروى عنه انه عزم مرة على السفر الى اميركا بعد ان نفي من وطنه المانيا ومن فرنسا ايضاً وكان يسكن لندره اذ ذاك قائلاً بشظف العيش راضياً عن الاضطهاد ثم عدل عن السفر قائلاً : اذا سافرت الى اميركا فاني اتعاطى فيها التجارة ولا شك اني اغتني ويكون الغنى آخرة « كارل مركس » وفي ذلك دليل على ان التآليف العلمية الدقيقة الزائلة هي بنت الفخفخة والترف في الحضارة واما الكتب الموحاة الخالدة فهي غالباً بنت الفاقة وخشونة العيش . وبعد ان عدل عن السفر الى اميركا اخذ في تأليف كتابه المذكور الذي خدم به علمي الاقتصاد والعمران كما خدم درون في تآليفه علمي النبات والحيوان

شأنهم في كل حرب منذ بدأت القبائل والشعوب تغزو بعضها بعضاً للقتل والسلب والنهب فينتج عن ذلك ان الله عز وجل هو المسئول وحده عن الحرب واهوالها . وهكذا يهجم الفجار بعضهم على بعض هجوم الوحوش الضارية وقد فعلت هذه الشبيهات الدينية في الرؤوس فيذبحون اخوانهم ويفادون بانفسهم للذبح راضين قانعين لان حكامهم أمروا بذلك وكهنتهم آذنوا به بل حرضوا عليه . على انهم يسيرون الى ساحة الحرب بادئ بدء بفتور همة وتردد حتى اذا تقابل الجيشان تتغير الوجوه وتلعب في القلوب روح الهمجية ونهمة القتال . فينقلبون سريعاً واي انقلاب . ولم يكونوا من قبل ليفكروا في غير بيوتهم وعيالهم المهجورة وفي النول والمحراث والمعمل وادوات الصنائع المتروكة . واما الآن فلا يهزهم سوى نهمة وحشية واحدة فبراثم قد فقدوا كل عاطفة بشرية تراهم يفرحون ويتهللون بسفك الدماء فيصرخون وقد ملأت رائحة الدم خياشيمهم اقتلوا اقتلوا اقتلوا . هذه هي الصورة الهائلة التي صورها كارليل

وهناك صورة أخرى تمثل الجيشين المتعاديين صورها كارل مركس بقلمه . وليست الصورة هذه مشهورة كالأولى ولكن ستهيج عزيزة فريدة في المستقبل تفوق صورة كارليل شهرة وتستحوذ على موحيها ومؤلفها رضوان الله وثناء العباد . وليست هي في الحقيقة صورة بل هي نبوة قد يشاهد احفادنا تحقيقها عياناً . وصف كارل مركس اجتماع الجيشين يقتتلان كما وصفهما كارليل فهما ايضاً مؤلفان من عامة الناس الذين يقدمهم الحكام طعمة للحرب قال : ها قد دعوا الآن الى ساحة القتال ولا مصلحة تبعثهم عليه ولا غرض ولا ثأر ولا مبدأ ولا داع البتة ولا سبب يتعلق بشؤونهم الخصوصية ولا واجباً حقيقياً نحو الامة والوطن يوجب عليهم سفك الدماء الزكية ومع هذا كله ترى الكهنة بينهم يحرفون على عادتهم عملاً بتقاليد تجارتهم وبعد ان يبثوا في الجيشين روح الدين — بعد ان يتخذوا في قلوب الرجال نهمة القتال يتقهقرون ساكنين ويتخذون لهم مراكز آمنة في مؤخرة العسكر . وكأنك بالجيشين قد تقابلا وصدرت اوامر القوّاد ولكن بدل ان يهجم الرجال بعضهم على بعض هذه المرة هجوم الاعداء تراهم قد رموا بسلاحهم الى الارض وتصافحوا مصافحة الاخوان . وعندئذ يختفي الى الابد شبح الحرب الهائل . ويهجر الكهنة والغربان ساحة القتال آسفين . ويتنازل الحكام عن عروشهم ويتعزز الاخاء الحقيقي ويبتدئ عصر الانسانية

ومن لا يفضل صورة كارل مركس هذه على صورة كارليل : من لا يعمل استطاعته ليقرب اليوم الذي فيه تحقق هذه النبوة ؟ ومن لا يبذل ما في وسعه في سبيل هذه الامنية الجميلة ؟ فحيا لليوم الذي فيه يبتدئ عصر الانسانية والمحبة البشرية لبنان امين ريحاني

النهضة الاميركية

«معربة عن الفرنسوية»

انتشر مذهب مونرو وفوي في نفوس الاميركيين الادلال باميركيتهم فتوسعت احوال الولايات المتحدة وزادت بسطة في الجاه والثروة . وحذا خلفاء مونرو حذوه في التمسك ببدإ الاكثار من الضرائب على الواردات مع ميل بعضهم الى حب التوسع وتوفير الصلات مع البلاد الاجنبية وخفف جاكسون احد رؤسائهم مكوس الجمارك فنقص الدين العام وكان بلغ ١٢٧ مليون دولار بتخفيف الضرائب ووفي كله . ثم جاء بعد هذا من الرؤساء من حافظوا حق المحافظة على مبدإ مونرو ورفعوا سدود الجمارك من وجوه السلع الاجنبية وانذروا العالم ان من مبدئهم السياسي القويم في المستقبل الضرب على يد كل دولة اوروبيه تطمح الى ان تنشئ لها مستعمرة او تستحل لها ارضاً في اميركا الشمالية وان الولايات المتحدة هي الحاكمة المتحكمة التي لا تسأل عما تفعل في تلك الاصقاع وسعوا السعي الحثيث حتى ضموا الى بلادهم يوكاتان واريغون وجزيرة سان دو مينيك . وصرح كرانت احد رؤساء الجمهورية ان الوقت ربما لا يطول وان مجرى الحوادث الطبيعية والصلات السياسية الاوربية مع اميركا قد انقضت ايامها وان الولايات المتحدة تعمل يداً واحدة مع الممالك الاسبانية الاميركية على احراز خصل السبق والذهاب بفضل انعمل على الاوربيين للاستئثار ببدإ سنه مونرو وادامس وكلاري . وبعد خمس وعشرين سنة قام الرئيس كليفلند وصرح لانكلترا بان لجنة اميركية عهد اليها النظر في مسألة فنزويلا فاذا عبثت بريطانيا بما تقرره تلك اللجنة يكون سبباً لذلك الحرب ويعني بذلك ان الولايات المتحدة اشتد ساعدها بحيث صارت في غنية عن الاستمداد من غيرها وانها حامية اميركا الشمالية والجنوبية معاً وكان لهذا النبإ في العالم القديم (اوربا) دوي كدوي الرعد تحت سماء من الرصاص وظهر مبدأ مونرو هذه المرة سيفاً لامعاً في ظلمات الماضي وبه نهضت نهضة الشعب البصير

وبعد فان المراد من النهضة الاميركية مذهب الاميركان الداعي الى التفاف اميركا برمتها حول الولايات المتحدة سياسياً واقتصادياً وذلك حرصاً على مصلحة عالية اخذ مصدرها الاساسي عن مبدإ مونرو . ذلك المبدأ الذي سنه هذا الرئيس وجرى عليه العمل في ازمان رؤساء كثيرين وفيه بقاء الولايات المتحدة وضمان توسعها وتبسطها في مناحي السلطة والثروة

والبقاء وليس غير هذا المبدإ دافعاً عن مصلحة البلاد غارة الاوربيين لاسيما وهم يأتونها زرافات ووحداناً

ولم يكن الرؤساء بولك وكرانت وكيفلند واولتيه الا مريدين لمونرو وعاملين على نشر مبدإه الاقتصادي . وقد ابان احد علماء تلك البلاد بان مبدأ مونرو لم يعمل به هو ولا اشياعه من بعده وان اميركا لم تنهض حق نهضتها وذكر اثباتاً لرأيه امثلة طفيفة من تداخل الاوربيين في شؤون اميركا بالفعل دون ان تقيم الولايات المتحدة الحجة على ذلك . فحاصر انكلترا سنة ١٨٤٢ لسان جان دي نيكاراغا ولمرافىء السان سلفادور سنة ١٨٥١ اوقبض السفن البرازيلية سنة ١٨٦٣ انتقاماً من التعدي الذي وقع على البرنس اوف فالس كلها من الامثلة في هذا الباب . قال هذا الناقد ان مبدأ مونرو لم يسن لمعاضدة حقوق الممالك الاميركية ومصالحها بل للاحتفاظ بحقوق الولايات المتحدة ومصالحها فقط

ثم ان مبدأ التكافل الاميركي من ادنى اقليم الالاسكا في الشمال من اميركا الى اقصى ارض النار من اميركا الجنوبية هو من الاوهام التي يصعب تحقيقها وقد حلت زمناً بهذا التكافل جمهوريات الجنوب الصغرى الى ان ظهرت الولايات المتحدة في مؤتمر باناما سنة ١٨٢٦ بمظهر الاثرة وحب الذات . فان كان مبدأ مونرو هو الصلة الاساسية التي تضم شتات الاميركيين بعضهم الى بعض فان اوربا لا تعد من الاميركان غير اهل الشمال اي سكان الولايات المتحدة . وما عداهم من سكان الجنوب فحجة يتوكأ ون عليها وذريعة يتشبثون باهداب الدفاع عنهم في الاحايين وما معنى النهضة الاميركية الا انضواء الامم الاميركية الضعيفة تحت علم الأمة القديمة ملتفة حول لواء المسكنة ملتحفة ثوب الصغار والذل

وما زال الحق بجانب القوة اي ان الاميركيين يهددون بسيف قوتهم كل أمة اوربية تريد ان تستبيح حماهم فيدافعون بذلك عن حقيقتهم ومصلحتهم . فقد قيل ان الاميركي تحيط به تمائم ثلاث « التوراة والدستور ومذهب مونرو » هذه هي عدته الاجتماعية وسلاحه الذي يستعمله في جهاد هذه الدار . ولئن أسيء استعمالها فليس من داع لملام الاميركان اذ يقضي على كل أمة ان تقفي اربها وتنال حظها ويحق لكل أمة هددت مصالحها بصالح امة متغلبة ان تقاوم جهد قوتها وتدافع عن بيضتها وان تغير غارة شعواء على من يتربص بها الدوائر فلا تسامح مع الانانية الوطنية الا بقدر ما لا يضر هذا التسامح بالرغبات الخاصة المحترمة عند الشعوب الاخرى . نعم « كل يجر النار الى قرصه » و « كل امرىء في شأنه ساع » ولكن يقتضي على القوي القادر ان لا يروح مدفوعاً بعوامل حب منفعته قاتلاً للضعاف او

المستضعفين جبارًا او رئاء : « اني اعمل لصلحتي لا لصلحتكم ولكنكم اعملوا لي كما لو كنت انا اعمل لكم »

بيد ان هذه الجمهورية الكبرى في اميركا الشمالية لم تسلك مسلكًا آخر امام جمهوريات الجنوب الصغرى فان الاولى عالمة علم يقين بان ليس بينها وبين جاراتها من تكافل المصالح الا ما يفيد الولايات المتحدة في مادياتها اي ان طريقة حماية التجارة تؤدي الى الافلاس والشقاء في البرازيل والارجنتين فان هاتين المملكتين خصيبتان ولكنهما ضعيفتان من حيث الارتقاء الصناعي ولذلك اضطرتا بحكم الحاجة الى ان تفتحا اسواقهما للواردات الشمالية بدلاً من ان تغلقاها . وهاتان المملكتان مضطرتان الى تحسين صلاتهما مع الكافة لان معنى اعتزالهما تحت برقع النهضة الاميركية وابتعادهما عن الاوربيين حبًا بان تكونا من حروف الزوائد مع سكان الشمال انهما كسلانتان جاهلتان محافظتان على القديم مضادتان للاهواء المعادية للتمدن راغبتان في الفناء الطبيعي الذي يلحق الاجناس ويدب فيها سوس الفساد الادبي

هذا ولم تمالك احدى المجلات الاميركية الشهيرة من التصريح بان الولايات المتحدة تلجأ الى القوة اذا جرى في الجنوب ما يخالف هواها . ولذا لم يستغرب اجتياح انكلترا سنة ١٨٩٥ في مسألة فنزويلا وكيف طرد الاسبانيول من جزيرة كوبا سنة ١٨٩٨ وكيف فتحت بورتوريكو وكيف كادت تباع جزائر الارخبيل الدانيمركية وكيف يطوف الاسطول الاميركي ابدًا محافظًا او قاهرًا البحر المتوسط الاميركي حيث تمتد اصقاع سان دومينيك او فنزويلا او باناما وكيف يتجمعون عند اقل فرصة ولو في حدوث مسألة خاصة ان مبدأ مونرو يأمرهم بان يحموا جمهوريات برازيل او الارجنتين او بيرو او شيلي اي ان يقوموا بشؤون تلك البلاد قيام الوصي والمعلم

واذ كانت النهضة الاميركية الاقتصادية مرتبطة بالنهضة السياسية ولا تحقق النهضة الاقتصادية لما هنالك من اختلاف المصالح التجارية بين سكان الشمال والجنوب وبعبارة ثانية بين اميركا البرتستانتية الساكسونية واميركا اللاتينية الاسبانيولية رأت الجمهوريات الصغرى ان تحتفظ بحقوقها فقاومت ما تدعو اليه الولايات المتحدة من النهضة الاقتصادية خشية ان يلحق سلامتها نقصان . فعقدت مؤتمرات حضرها مندوبو الحكومات الاوربية ومن جملة ما عقد من المعاهدات معاهدة بين اميركا الشمالية والمكسيك سنة ١٨٨٣ تدخل بموجبها سلم الشمال الى بلاد المكسيك حرة بلا جمرك كما ان الشمال يقبل حاصلات المكسيك الطبيعية

كذلك. ومع هذا لم يظفر سكان الشمال بطلبتهم فقد باع سكان الولايات المتحدة سنة ١٨٩٤ لسكان الجنوب بضائع بلغ ثمنها ١٣٥ مليون دولار وابتاعوا منهم غلات بمائتين وستة وار بعين مليوناً

قال الكاتب وكل ما قامت به اميركا الشمالية من الاعمال من حرب وضم ارض وفتح بلاد من ارض الجنوب ان هو الا التفادي من ان ينال مذهب مونرو بعض ضعف وما هذه الاعمال الا دالة اصرح دلالة على ما تحوي ضلوعها من فكر الاعتداء والفتح المنطوي تحت اسم نهضة اميركا

لا يعدم الحق انصاراً وان من الاتحاد قوة. فقد قام بوليفار من رجال السياسة وابطال الحرية الملقب بواشنطون اميركا الجنوبية فحرر كولمبيا وفنزويلا وبيرو وخط الاستواء وبوليفيا ثم اراد ان يجمع هذه الامم الحرة كلها في ظل العلم الدستوري ويجعلها مملكة قائمة برأسها فتشل سعي دعوته ثم عاد فدعاهم باسم المحافظة على مبدإ مونرو فاجابت بعض البلاد الجنوبية دعوته. وتلكأت الولايات المتحدة كثيراً كأنها قالت بلسان الحال ان هذا المبدأ سن لحماية مصالح الشمال لا لمصالح الجنوب واشارت الى مندوبيها بان لا يصغيا الى ما يقرر الا باذن صماء فعرفت جمهوريات الجنوب الصغرى ان جمهورية الشمال الكبرى ليست اختهن. ذلك لان بوليفار لم يتصف كواشنطون بارادة ثابتة منظمة بل كان من شدة الحمية بحيث يستبين بروحه ويهريق دمه حباً بمصلحة العالم ويرى الامم كلها اخوة والناس اخاء استواء ولذلك لم يحسن ادارة ما افتتحه من البلاد وغنمه من الطارف والتلاد

وظلت الولايات المتحدة سائرة تلتهم كل ما تصادفه في طريقها من المغانم والفرائس ومنها ضم جمهورية التكساس اليها وهي ضعفا مساحة فرنسا. ثم لم يخل من الخاطر اذ ان الولايات المتحدة تحظر الرقيق ولا تقبل هذه الجمهورية بنعه. وبعد جدال طويل الاذيال مع المكسيك بل بعد الاخذ بالتلابيب واشهار المكسيك الحرب على اميركا ضمت التكساس الى هذه وصارت الولايات المتحدة صاحبة القول الفصل في الشمال بالقوة ومن ذلك تداخلها في جزيرة سان دومينيك وقد انقسمت قسمين مستقلين وثارت بينها ثائرات العداء ولكنها تلطفت في هذا التداخل. وكانت تود الحاقهما ببلادها لو لم تكن خارجة منهوكة من حرب الرقيق. ولا يزال لسان الثورات يندلع في تلك الجزيرة وكثيراً ما هددت اميركا من اجلها ولعلها تلتهمها بعد لانها واقعة بين جزيرتي كوبا وبورتوريكو اللتين بسط النسر الاميركي مخالبه عليهما. ومرفأ هذه الجزيرة «سان نيقولا» هو بثابة جبل طارق لاميركا. ويذكر ان الولايات المتحدة حكومة الدانيمرك عام ١٩٠٢ في ان تبيعها جزائرها في الارخبيل «الانتيل»

يبلغ خمسة ملايين دولار وهي ثلاث جزائر مساحتها السطحية ٣١٠ كيلو مترات مربعة وسكانها ٣٢٧٨٦ . فاكتشفت في خلال هذه المدة حيالة نصبها اعد اعضاء مجلس البلاد الدائمركية وتبين انهُ ارتشى لتحقيق رغبات الاميركان . فتأخر النظر في امر الجزائر الآن ريثما تجيء الفرصة المناسبة (والاميركان كالانكليز لا يضيعون الفرص ولا يخترعونها) ولئن لم تسقط هذه الاجاصة في ارض الاميركان فذلك لانها الآن آخذة بالنضج وما نضجها على الصابرين ببعيد

انحطاط المشرق بانحطاط الاخلاق

بسطنا الكلام في فصل سابق عن انحطاط المشرق وابنا ثمة ان سببهُ انحطاط الاخلاق وعراقة الشرقيين في الحضارة وبلوغهم منها غاية قضت بتمكن الضعف منهم منذ زمان مديد ووعدنا بالعود الى هذا البحث واتمام الكلام عليه ووفاء بالوعد نقول :

اشرنا في ذلك الفصل الى ان الاخلاق السافلة التي تفضي بانحطاط الأمم وضعفها كثيرة وان ما نراهُ منها مظنة انحطاط المشرق واهله لا ينحصر بالملاذ البدنية بل هو اعم من ذلك وان عامة الاخلاق الفاضلة في المشرق قد تطرق اليها الضعف فاضعف قوى الشرقيين ونفوسهم عن النهوض مع الناهضين والسابق مع السابقين من أمم المغرب والخطر من هذا على المشرق عظيم يتهدد اهلهُ بناموس الانتخاب الطبيعي القاضي ببقاء الانسب . وحسبك دليلاً على ذلك هذا السكون المطلق الذي يخيم بسحبه الثقيلة على آفاق المشرق بينما المغرب في حركة مستمرة يخترق صداها حجب الفضاء وتهتز لها جوانب الغبراء . فلو هبط الآن على الارض هابط من عالم النجوم لخيل لهُ ان المشرق واهلهُ عالم آخر لا اتصال لهُ بالمغرب لما ينهبط من التباين الذي يكاد يكون مستحيلاً في نظر العقل في عصر وصلت فيه الكهربائية والبخار بين جوانب الارض واصبح فيه العلم مشاعاً بين الأمم لا يقصر عنهُ نظر المتطاول ولا يد المتناول . وما هذا التباين الاَّ اثر من آثار الاخلاق في رقيها وتدليها والانسان انما دعي انساناً مميزاً بنفسه لا بجثمانه فالتفوق في التي تعلو بهذا الانسان الضعيف حتى تبلغ به عنان السماء وتهبط به الى الحضيض حتى يلتصق خدهُ بأديم الارض

فكل ما سيء في المشرق من وهن في العزائم . وفتور في الهمم . واخلاد الى السكون . وعجز عن النهوض . وتخاذل يفرق المجتمعات . ويأكل القوميات . ونفور من العمل . واسترسال في الجهل والخمول . ورضا بالضيم واستسلام للفاتحين والمستعبدين من الغربيين

انما هو نتيجة ضعف في النفوس تأصل فيها بضعف الاخلاق ويوشك ان يرجع بهذه النفوس البشرية الى الجبلة البهيمية لو لم يقابلهُ حكم هو اقرب لسنن الوجود واشد انحاء على الشرقيين الا وهو : فناء الضعيف في وجود القوي · سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا

اذن فداء المشرق كما تبين لك عضال ومرضهُ خطر قتال · ودو فساد الاخلاق وضعف ملكات العلم بلوزام الحياة · ولا بد لتقويم الاخلاق من حسن المعالجة بزاولة التربية الصحيحة واحياء موات النفوس بالفضائل التي يرشد اليها العلم · والوصول الى ذلك انما يكون باحد امرين : اما بالشعوب او بالحكومات : وفي كلا الحالين فان نهوض المشرق وقصد اهله هذا القصد يتوقف على وجود قيادة في أممهِ وشعوبهِ يحسنون بهم السير ويأخذون بهم الى سبيل الرشاد · على انا نرى ان وجود القادة من زعماء الاصلاح الاجتماعي في المشرق لا يوصل الى منتهى الغرض الا اذا وجد اولئك القادة عضداً من الحكومات وناصراً من زعماء الرياسة والسياسة الذين اصبح في ايديهم قياد الامم الشرقية · ذلك لما ثبت لنا من تناهي ضعف النفوس في المشرق وفقدها الشعور بالحاجة الى الاصلاح النفسي والتربية العقلية

ولنضرب لك مثلاً على ذلك بمن قاموا من قادة الافكار في المشرق في عصر واحد وهو عصرنا هذا فقد سعى المركيز ايتو الياباني لانهاض قومهِ في اقصى الشرق فانجح سعيهُ ونهض باليابانيين الى أفق السعادة لما اخذ بيدهِ امبراطور اليابان كما هو معروف · وسعى غيرهُ كثيرون في ادنى الشرق فاخفق سعيهم لما لم يجدوا من زعماء الرياسة على الشعوب من يأخذ بايديهم و يعضد سعيهم · ذلك لان شعوب المشرق كما قدمنا قد مرنوا على الخمول لما تأصل فيهم من مرض الضعف وفساد الاخلاق الفاضلة التي تنهض بالنفوس الى ذرى الاستقلال الذاتي فاصبحوا اتكاليين لا يسعون الى عمل نافع الا اذا سيقوا اليهِ سوقا · واقتدوا برؤسائهم اذا كانوا لهم عوناً يضاف الى هذا غرور الشرقيين ببقايا مدنيتهم الدارسة غروراً يقعد بالهمم عن تطلب غايات الكمال على ان اخفاق المخفقين انما كان في الحصول على الثمرة العاجلة التي جناها ايتو اليابان واما الآجلة فلم يكونوا يائسين من نيلها اذا ثابر الخلف من محبي خير الشعوب ومصلحي النفوس والمخلصين في النية والعمل لاقوامهم على ارشاد أمم الشرق الى سبيل النجاة واستنهاض هم ذوي المروآت من زعماء الحكومات الشرقية الى بسط جناح الرحمة على الرعية ومعونتها في القيام على اصول العلم النافع وتلمس وجوه الخلاص من براثن الفناء الذي يتهدد أمم الشرق في كل آن ولا يعدم المشرق افذاذاً من المخلصين في كل عصر توافق دعوتهم

من بعض الزعماء آذانا واعية وقلوبا رقيقة ونفوسا سمية نقية من شوائب الفساد تنطبع عليها صورة الخير وتنزع الى النهوض بالشعوب الشرقية من وهدة الذل والخمول

ورب معترض يقول ان نهوض زعماء الحكومات بالأمم امر غير متوقع الحصول لا سيما في المشرق وما دام الشرقيون قد بلغوا من الضعف ذلك المبلغ فاحر بزعمائهم ان يكونوا كذلك فالاولى ان تحث الأمم على النهوض بنفسها وترك الاعتماد على حكوماتها فالجواب عن هذا ان ذلك الاعتراض وجيه لا يقبل النقض بل هو القاعدة الاساسية في حياة الأمم لكن ذلك يجوز على اهل المغرب واما اهل المشرق فقد افعدهم عن العمل بهذه القاعدة طول عهدهم بالجمود والخمول الناشئين عن الاغراق في الحضارة كما قدمنا وتماديهم اجيالاً كثيرة في الاعتقاد بالوهية زعمائهم وما يتبعها من تسليم النفوس اليهم والتعويل في كل الشؤون عليهم وهي عقيدة وان محتها الشرائع الالهية من اكثر ارجاء المشرق الا ان ادمان الأمم عليها غادر في نفوس الشرقيين من آثارها القبيحة اعتماد الشرقيين على حكوماتهم في كل شأن من شؤونهم العامة

وهل تظن ايها القاريء ان الأمة اليابانية كانت تحول عن مثل هذا الاعتقاد بيكادها (امبراطورها) لو لم يتنازل هو نفسه عن الوهيته بمحض ارادته وحب الخير لامته وبنهم شعبه انه بشر مثلهم لا قوة له ولا حول الا بهم ولا حظ لهم من سعادة الحياة ومسابقة الأمم الا بجدهم وهل تظن الصينيين يبلغون من الرقي مبلغ اليابانيين اذا لم يفهمهم امبراطورهم ابن السماء انه ابن الارض وبهدم تختاراً ذلك السور الهائل القائم بينه وبين أمته فيقودهم الى الطريقة التي سلكها ميكادو اليابان بقومه ورفع لهم فيها بنيان الفضيلة والعلم باخلاصه وعلو نفسه . وبالاجمال فالشرق يحتاج في نهوضه الى حكوماته اذا أريد التعجيل في الحصول على الثمرة المبتغاة من دعوة المصلحين في كل قبيل منه وعند تعذر الحصول على هذه الثمرة يعدل فيه الى الرأي الآخر ولا بد في هذه الحال من قيام طائفة من كل قوم على تربية النفوس وبيان الفضائل التي تسمو بها النفس الى أفقها الأعلى حق البيان والله بحسن العاقبة كفيل

حلوان رفيق العظم

الاحتفاء بالاحياء والاموات

قرأت في الجزء الثالث من المقتبس ص ١٤٧ مقالاً تحت عنوان « روح جديدة » جاء فيه ان الامة اخذت تنصيع بصيغة الغربيين منذ انشأت تأخذ العلوم عنهم ومن ذلك اجلال رجال العلم والادب احياء واموات . وقد رأيت دعوى ان ذلك روح جديدة وان ذلك من اخذ الشرقيين عنهم منظور فيها اذ قد دون التاريخ من امثال هذه الاحتفالات مالا يحصى . وما ذنبنا الا القصور بعدم التنقيب

ان الفقهاء باجمعهم على تنوع مذاهبهم عدوا من البدع تأبين الميت وذكر محاسنه ورثاءه قبل الدفن وبعده واستدلوا على ذلك بما روي من الآثار المعروفة في دواوين السنة اليس هذا لان القرون المتقدمة كان فيها شيء من ذلك: انشاد مراث وتعديد مناقب وبث خطب . بل ولولاه لما كان لتبويبهم معنى . ولم يزل ذلك معروفاً في عواصم البلاد فلا يموت عالم الا وتتلى قبل الصلاة عليه عدة قصائد وذلك قبل نفخ هذه الروح الجديدة في صور الشرق

واما تكريم الاحياء للاحياء فلم يزل يحتفل بختم دروس الكتب المهمة كالصحيحين والموطإ في دور مشايخ الحديث او احد اصحابهم احتفالاً يحضره كثير من اهل الفضل والادب وان اعوزهم مدح العلم والكتاب نظماً فلم يفتهم ذلك مذاكرة او لسان حال هذا اثر من آثار ما كان . ما الذي كان . كان اذا ختم عالم كتاباً مهماً من مؤلفاته يحتفل به افاضل العصر احتفالاً يذيع في كل قطر

اذكر من ذلك ما جرى عام ٨٤٢ لما ختم الحافظ ابن حجر كتابه فتح الباري شرح البخاري بالتاج والسبع وجوه بين كوم الريش ومنية الشيرج خارج القاهرة حضره من العلماء الذين حفظ التاريخ اسماءهم ثمانون بل نيفوا على ذلك واما من كان من الطبقة الوسطى فما دونها فأولئك لا يبلغهم الحصر ونظم من ادبائهم ومشاهيرهم في التنويه بهذا المشروع عدة قصائد . فمن ذلك قول الصلاح الاسيوطي من قصيدة

كم للبخاري من شرح وليس كما ... قد جاء شرحك في فضل وتتميم

وقول الشهاب المنوفي مطلع قصيدة ابياتها ٧٥

تمنعت بدموع الصب في حجب ... فانظر الشمس تضحى في حلة السحب

ومنها شرحت صدر البخاري مثل جامعه ... فراح ينشد هذا منتهى الطلب

ومنها هذا وحقك عام افتتح حرم به ... لبيت فضلك وفد العلم عن رغب

وقول البرهان البقاعي صاحب التفسير المعروف من قصيدة

بأبي الخدود نواضراً حسناتها كنواظر الغزلان في الدينر
قصدت بكون المسك حسن ختامها فتعلمت من ختم فتح الباري

وقصيدة لشمس الدين الدجوي وقصيدة للخطيب برهان الدين المليجي وقصيدة لمحب الدين البكري اولها

حديثك لي احلى من المن والسلوى اذا حل سمعي حرّم اللوم والسلوى

ومنها

وكم من شروح للبخاري عدة طواها بفتح الباري اعجب لما يطوى
كساهُ جمالاً من عذوبة لفظهِ ففازت بهِ الدنيا وسلت الدعوى

ولهُ قصيدتان أُخريان وقصيدة لشرف الدين الطنوبي ولشمس الدين النواجي قصيدة كبرى منها

وكم طوى نشره كتاباً على مر الدهور سرمد
ومن يكن علمهُ عطاء من فتح باريهِ كيف ينفد

ولما فرّق مؤلفهُ صرر فضة وتجامع حلوى انشد الدجوي

بفتح الباري انشرح البخاري واحمد ختمهُ بالفضل جامع
ادار دراهما صرراً فأنشى وحلوى فيهِ تأخذ بالمجامع

واذكر ايضاً ان في سنة ١١٨٨ اكمل اللغوي الشهير السيد مرتضى الزبيدي عليه الرحمة شرحهُ تاج العروس على القاموس واحتفل في داره بالتنويه بهذا المصنف البديع احتفالاً حضرهُ شيوخ الوقت وكبار الادباء كان منهم شيخ الجماعة الشيخ علي الصعيدي والدردير والسيد العيدروس والامير الكبير وعطية الاجهوري وعبادة العدوي وابو الانوار السادات ومن في طبقتهم والطبقة الوسطى وما بعدها كما فصلهُ الجبرتي. ومن المشاهير في التنويه بذوي الادب والاحتفال بهم في القرن الغابر الامير المجاهد السيد عبد القادر الحسني الجزائري ثم الدمشقي الشهير فانه كان اذا قدمت اليه مقامة ادبية يدعو للتنويه بنشئها شيوخ الشام ويولم لهُ انفس الولائم شتاء في البلدة وصيفاً في متنزهه بدمر وقد خدم لاجله الصناعتين عدد ليس بالقليل فلكل عصر افراد وكل وقت لهُ صبغة خاصة ومهما تباينت الانواع فالجنس واحد. واما الاحتفالات القديمة التي اشرتم اليها آخر المقالة فاذكرني منها ما شرطهُ المعظم بن العادل الايوبي لكل من يحفظ المفصل للزمخشري — وذلك مائة دينار وخلعة قال في وفيات الاعيان: فحفظهُ لهذا السبب جماعة ولم اسمع بمثل هذه المنقبة لغيره

منتخبات من كتاب النبراس

في فلك الاقتباس لاحد شعراء الشام

لا تجهدنّ النفس في تدبير ما حاولت في الشدة من رخاء
وهو الذي تلطفاً بخلقه (يدبر الامر من السماء)

بدنياك التي دسمت فسمت وليس لها على حرّ بقاء
عليك اذ انكسرت لجيش هم (بنصر الله ينصر من يشاء)

قيسوا قضاياكم على من مضى (اذ انتم بالعدوة الدنيا)
واستكثروا الزاد لكي تلتقوا فيهم (وهم بالعدوة القصوى)

عباد الله لما جاهدوا في نفائسهم جهادهم الغريبا
(فانزل) من سكينته (عليهم) سنًا (واثابهم فتحًا قريبا)

تجليات ربك هل احاط بكنهها لب
وهل كشف الغطا الا (لمن كان له قلب)

لمن اشاعوا سلوتي عنكم اقول ما يجب
(يا ويلكم لا تفتروا) جهلاً (على الله كذب)

يا من بنظم الشعر دعواهم غدت تستوجب التنكيت والتبكيتا
اياتكم منها الحجارة فصلت (ام تنحتون من الجبال بيوتا)

اذا دعيت لكأس صهباؤها قد تراءت
قل حيث حلت بحرم (بئس الشراب وساءت)

اقاصيص الفرنجة كم تؤدي تلاوتها الى معنى خبيث
فدعها لا تكن في العلم ممن بلهو (يشتري لهو الحديث)

قالوا وداد الكريم صفه وود من لؤمه مزاج
فقلت (هذا عذب فرات) يجي (وهذا ملح أجاج)

التعليم والتربية

الارادة والعزم

اهتم الفرنسيس للكتاب الذي وضعهُ المسيو دومر(١) والي الهند الصينية السابق ورئيس مجلس النواب في فرنسا واحتفوا به لما وجدوا فيه من ادوية ادوائهم الاجتماعية وطرق تربية النشء تربية تقيهم آفات العصر التي ضجَّ منها العقلاء وحار في معالجتها الحكماء . وهناك سبب آخر لتلقي القوم هذا الكتاب بايدي الاعتبار وهو غير ما يتبادر للذهن من بهرج الالقاب التي تحف باسم مؤلفه . بل هو ما عرفوهُ من مبادئ نشأته ووسائل رفعته حتى كانت سيرته مثالاً يحتذى في الشهامة والاقدام واخلاقه خير وسيلة لاستكشاف اسرار النجاح . وقد تسابقت جرائدهم وتجلاتهم الى شرحه وتقريظه ونقلت حسب عادتها فصولاً منهُ توضيحاً للدلالة عليه والتعريف بهِ . فآثرت تعريب هذا الفصل لشمول فائدته كل قارئ من اي قوم كان قال في الارادة والعزم :

تعلم الارادة واعمل ما ينبغي . بذلك يمكن ان تلخص النصوص العديدة التي تتخذ قواعد للحياة . ادّ الواجب وكن بعد في الجملة رجل حق ابداً . هذه هي الوصية السامية والفريضة الادبية التي تسود في سيرة الانسان . ولا ينبغي لامثالنا ان نرغب فيها فقط بل يجب ان نكون اهلاً للعمل بها اولي ارادة وقوة نحكم على انفسنا . هذا هو المهمُّ وهذا هو الصعب . من اجل ذلك كان اول ما يجب على الفتى المتقدم لاحتمال اعباء الحياة ونبعاتها ان يتأهل لامتلاك قياد نفسه فتكون لهُ السلطة المطلقة على هواهُ وخطرات قلبه كما لها على جسمه واعمال جوارحه . فاذا كان المرء كذلك اوشك ان يكون امراً خيراً وان يقبض في الغالب على زمام حياته وقياد سعادته

كيف السبيل الى تأمين سيطرة مستمرة مثل هذه على النفس وهي تظهر متعسرة بادئ بدء وان تكن تهونها المزاولة حتى لقد تصير آلية ؟ انّى لنا الصبر على الانفعالات الجاهلية وعلى الجواذب والقواتن التي تحيط بالانسان ؟ كيف نغلب الميل الى البلادة والاستسلام الى الاميال الطبيعية التي يحلو الاسترسال معها ما لم تقدر عواقبها ؟ كل ذلك ينال بتعلم الارادة والتمرن عليها

---

(١) راجع ص ١٤٨ ج ٣ من المقتبس

نظم الفلاسفة الارادة في سلك القوى الانسانية الاولى فلا نظير لها في الاهمية الاَّ العقل الذي يضبط الفكر والواجب والحكم . ثم الاحساس الذي هو مبدأ الحواس والعواطف والشهوات . وان الذوق السليم ليتفق مع الفلسفة على وضع الارادة في الموضع الاول بين القوى البشرية وصفات الانسان الكامل . فان الارادة القوية الثابتة تتمكن من كل امر من حيث الشؤون المعنوية وكثير من الامور المادية

رجل الارادة هو وحده الحر في الحقيقة فهو رب احكامه وافعاله يقود افكاره وعواطفه بل وخياله ويخضع كل شيء لسلطة العقل . فهو يسير بمقتضى احكام عقله ويأتمر باوامر وجدانه مع قابليته للسلوك وفق قواعد الحياة التي دعته الحكمة الى اتخاذها

وفي الامكان ان يتغلب الانسان بالارادة الثابتة على الشهوات الغائرة متطرفة او مهلكة وان لا يدع سلطة على نفسه لغير العواطف الكريمة والخواطر النبيلة . ولا يصغي الى العواطف الاَّ اذا لم تقتض شيئاً ينافي الواجب . فلا بدَّ اذاً من ارادة حديدية تكون المرء امرأ خير فاضلاً حقيقة . وكلُّ بمثل تلك الارادة يستطيع الكمال مهما كان مزاجه ومعايبه وكيف كانت مشاربه ومذاهبه

ويحسن في المزاولات الحيوية والاعمال اليومية العديدة التي يمتلئ بها حياتنا اذ منها يتكون نسيج وجودنا ان لا نضطر الى التحاور في الفكر عند كل امر لتبيين اتفي العمل به تكون الفائدة ام في الامتناع عنهُ . ولكن يجب ان يكون لنا قواعد ثابتة وان تكفي ادنى حركة من ارادتنا المتنبهة لتوعز الينا بالجزم

فاذا كنت تعرف قيمة العفة وكان من قاعدتك ان لا تفرط في الطعام وايقنت بمضرة المسكر والدخان مثلاً ثم تعددت المثيرات وتوالت الدواعي الى ما يخالف ذلك فينبغي ان تتقيها الارادة بالعزم . وتمرن الارادة يومياً على مغالبة مثل هذه الصغائر يجعلها نافذة السلطان في غيرها من الامور المهمة

لا ينال الخير في الشؤون الخصوصية والعمومية الاَّ بالارادة . ثم ليست هي المادة الوحيدة للنجاح الا انها شرط اولي لا اثر لغيره من الشروط بدونه . فان كنا نجد لهذه القوة الحيوية اعني الارادة تأثيراً محتماً في كل امر لو نظر فيه على حدة فماذا نجد من تأثيرها في حياة يتوالى عملها فيها ؟ لا جرم ان الرجل الذي عرف ان يتملك تلك القوة يصير اليه في الغالب تعيين حظه حتى لا يدع للمصادفات والطوالع السيئة الاَّ ادنى مالها من التأثير في حياته بحيث يكون هو الكاسب لفلاحه والباني لسعادته

وأما الرجل الذي لا ارادة له فلا يكون له من التأثير في حظه الا القليل ولو كان ذا عقل كبير فيظل أُلعوبة بيد الحدثان وامره الى الاتفاق . يجري في الحياة كما جرت تلك لا دفة لها فوق بحر هائج فهي تجر من غير ما ادارة تتجاذبها الارياح وتتدافعها التيارات الى ان تصير الى لجة تبتلعها

والجامدون من الرجال الذين فقدوا الارادة بتة هم شواذ كأُولي الارادة الثابتة المطبوعين على العزم والعمل . اما السواد الاعظم فمؤلف من ضعفاء الارادة وذوي العقول المترددة ولقد كان في امكان هؤلاء ان يكونوا احسن حالاً مما هم عليه ثبات عزيمة وسداد رأي لو تعلموا الارادة . فالتردد والحيرة اللتان تفترسانهم هما مرضان يؤولان بمرور الزمن الى شلل الارادة بالفعل . وقد تكون الحيرة والتردد في بعض الاحوال اشد التواقص خطرًا وتؤديان الى الرزايا اذا كان صاحبهما رئيساً ما لان العزم هو الصفة الاصلية للقواد والحكام والامراء هكذا تقتضي كلتا الحياتين العمومية والخصوصية ان يعرف المرء ان يعتزم ويريد

فالارادة التي يقودها العقل اذا ما عملت في الانسان بصورة مستمرة حتى تبلغ الغاية من نشاطها ويتم لها الكمال تصير عزماً وذو العزم هو رجل ارادة وثبات واقدام وذلك خير ما يوجد في المجتمع وافيد ما فيه . واندر الاوان كل ما يقال عن مآثر الارادة فهو حق وان شئت فقل ما يقال عن مآثر العزم . العزم يحتاجه الانسان ليكون فاضلاً يصنع الخير كما يحتاجه لانشاء حظه وسعادته . وبه يربي شخصيته الادبية والعقلية ويكوّن حياته جمعاء . وحكم العزم نافذ في هذين الامرين الحسي والمعنوي على السواء . فذو العزم ينمو عقله وهو يتحسن ويتكمل ابداً

الطريقان المفتوحان امامنا طريق الخير وطريق الشر بينهما فرق اما طريق الشر فسهلة وهي على منحدر يستدرج فيكفي من الانسان ان يميل ميلاً حتى يتردى الى الحضيض . واما طريق الخير فهي اكثر عناء اذ ينبغي لسلوكها جهد مستمر وارادة ثابتة وبالجملة ينبغي لها عزم

والعمل في اصلاح النفس وتكميلها عمل يومي وشغل لا ينقضي من مثابرة المكارم والفضائل لاكتسابها والتنقيب عن النقائص والمعايب لمكافحتها وازالتها وعن المبادئ التي تستدعي الحذر والشهوات التي يجب ان تقهر . هنالك الخير خيرٌ يفعله الانسان لذاته وثمت خير آخر لا يقل فائدة عن ذاك وهو ما يفعله الانسان مع غيره ادبياً كان او مادياً بالنصيحة والاسوة الحسنة قولاً او فعلاً

صاحب العزم الثابت لا يتحول البتة عن هذا العمل النبيل والصنع الجميل يقوم به بامانة

ودقة مستضيئاً بمصباح العقل معتمداً على جزم الارادة . وانه ليمكنه بل يجب عليه ان يفحص كل يوم ضميره واعماله فيعتبر اليوم الذي لم يتيسر له ان ينفع فيه احداً يوماً مشيماً ثم يتفكر ويتدبر ويستمد من تفكيره حياة جديدة امزمه وقوى غضة لحرب الحياة فان ذا الارادة القوية ليفلح اكثر من غيره فيما لا يحيص عنه من الجهاد في سبيل الحياة اذ يكون اهزاً للعمل فيما ينفعه وينفع ذويه وفيما يغنيه ويرفعه ويحقق امانيه . العزم يفيد في تحصيل الرفاهية والسعادة ما لا يفيده العقل او الحظ فعلى كل من اراد النجاح في حياة تليق به ان يلتمس عزماً عريقاً في الثبات وبعد فبقية اسباب النجح تأتي زائدة

ارى في الناس عموماً والافرنسي خصوصاً — لاني اليه انظر — جرثومة الارادة الثابتة وارى فيه قوة ومتانة ظلت مهملة حتى جمدت وصارت كأن لم تكن لعدم العناية بها والالتفات الى تهذيبها . اراأيت الرجل يسترخي عضله ويضعف جثمانه اذا هو اهمل الرياضة وترك العمل ؟ فكذلك الشأن في القوى الادبية

اذا كنا نهذب العقل في إبان الشبيبة فمتى نربي العزم ؟ لقد آن للشباب الذين اوجه اليهم هذا الخطاب ان يشرعوا في هذه التربية والتنمية الادبية بانفسهم ويجب ان يكون هذا اكبر همهم . وعليهم لكي يتعلموا الارادة ويحصلوا منها على نتيجة ان يعزموا عليها ويمارسوها من غير انقطاع ولا استراحة فيستعملونها في تكميل انفسهم وكل شأن من شؤون وجودهم اذ الغاية ان يجعل الانسان ذاته رجلاً ذا عزم يملك هواه ويقتدر على ادارة حياته وتدبير اعماله وان يكون هو المنشئ لسعادته وسعادة الآخرين من بني جنسه وان يشرف بلاده وينفعها بخدمته . فيا ايها الشاب الذي تقرأ كلامي ان كنت عازماً على بلوغ هذه الغاية فاذكر الكلمة الاولى من هذا الفصل وهي تعلم الارادة . بقول مهربه واضف اليها هذا البيت العربي

اذا لم تك الحاجات من همة الفتى ... فليس بمغن عنك عقد التمائم

بيروت عبد المعين خلوصي

صحف منسية

جملة من نثر ابن الخياط

فصل له من رقعة: الاسهاب كلفه. والايجاز حكمه. وخواطر الالباب سهام يصاب بها اغراض الكلام. واخونا ابو عامر يسهب نثرًا و يطيل نظمًا شائقًا بأنفه. ثانيًا من عطفه. متخيلاً انه قد احرز السباق في الآداب. وأوتي فصل الخطاب. فهو يستقصر اساتيذه الادباء ويستجهل شيوخ العلماء

وابن اللبون اذا ما لزّ في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

وهذه قصيدة انشأتها في ليلة كأنما سماؤها روضة تفتحت النجوم وسطها زهرًا. وتفجرت المجرّة خلالها نهرًا وادم يسيل بعسجد. على رصراص زبرجد. فما اصبت الغرة. واقصدت الثغرة تقلبت مرارًا. وتناومت غرارًا. حتى نبهني الفجر ببرده. وسربلني الصباح ببرده. وهببت من النومة وصحوت من النشوة. زففتها اليك بنت ليلتها عذراء. وجلوتها عليك كريمة فكرها حسناء. تتلفع بحبرة حبر. وتتجتر في شعار شعر. مؤتلف بين رقها ومدادها. ومجتمع في بياضها وسوادها. الليل اذا عسعس. والصبح اذا تنفس. رقمتها كافور نمم بمسك. وختامها ياقوت نظم في سلك. تحسب خطها تيم لفظها فتكا. وتخال القلم رقّ لما به فبكى. فانشدها اخاك الشبيبي وكلفه على العروض والقافية معارضتها. واحمله على اللين والشدة مقارضتها. فستوفد بقلبه قبسا. وتضرب في أذنه جرسا. فستبين به حظه وتعرف فضله. وختم الرقعة بابيات

اقصر عن لومي اللائم لما درى انني هائم
ما زلت في حبه منصفا من لم يزل وهو لي ظالم
أسهر ليلي غراما به وهو اخو سلوة نائم

ومن شعره في قصيدة في ابن حمود

ولم ار مثلي كيف صار بقلبه من الوجد بركان وفي الجفن طوفان
ولا مثل هذا العدل كيف اعاده عليّ وقد مرّت على الظلم ازمان

شعر البلفيقي

كان ابو البركات محمد البلفيقي احد اساطين العلم والادب في القرن الثامن ببلاد الاندلس مرموقًا بالصلاح موسومًا بالعلم. قال لسان الدين بن الخطيب في الاحاطة ومن

مقطوعاته التي هي آيات العجائب وطرر حلل البدائع في اسنى الاغراض والمقاصد قوله يعرض لبعض الطلبة وقد استدركته بعض حلق العلم بسبتة

ان كنت ابصرتك لا ابصرت بصيرتي في الحق برهانها
لا غرو اني لم اشاهدكم فالعين لا تبصر انسانها

ومنها قوله وهو من الغريب البديع

ومصفرة الخدين مطوية الحشا على الجبن والمصفر يؤذن بالخوف
لها هيئة كالشمس عند طلوعها وكنهها في الحين تغرب في الجوف

ومنها قوله في النصح وله حكاية تقتضي ذلك

لا تبذلن نصيحة الا لمن تلقى لبذلك النصح منه قبولا
فالنصح ان وجد القبول فضيلة ويكون ان عدم القبول فضولا

ومنها في الحكم

ما رأيت الهموم تدخل الا من دروب العيون والآذان
غض طرفا وسد سمعا ومهما تلق هما فلا تثق بفعلان

ومنها قوله وهو من المعاني المبتكرات

حزنت عليك العين يا مغنى الهوى فالدمع منها بعد بعدك مارقا
ولذاك قد صبغت بلون ازرق او ما ترى ثوب المآتم ازرقا

ومنها قوله في المعاني الغريبة في التفكر في المعاني

أبحث فيما انا حصلته عند انغماض العين في جفنها
احسبني كالشاة مجترة تمضغ ما يخرج من بطنها

ومنها وقال ومما نظمته بين اندرش وبرجة عام اربعة واربعين وانا راكب مسافر وهو مما يعجبني اذ ليس كل ما يصدر عني يعجبني قال لسان الدين ويحق له ان يعجبه

تطالبني نفسي بما ليس لي به يدان فاعطيها الامان فتقبل
عجبت لخصم جاء في طلباته يصالح عنه بالمحال فينصل

ومنها رعى الله اخوان الخيانة انهم كفونا مؤنات البقاء على العهد
فعوقدوفوا كنا اسارى حقوقهم نراوح ما بين النسيئة والنقد

مطبوعات ومخطوطات

المدونة الكبرى

الامام مالك بن انس عالم المدينة وامام دار الهجرة والمحدث الاعظم المتوفى سنة ١٧٩ اخذ العلم عن تسعمائة شيخ فاكثر وما افتى حتى شهد لهُ سبعون اماماً انهُ اهل لذلك وكتب بيده مائة الف حديث وجلس للدرس وهو ابن سبعة عشر عاماً قال الشافعي اذا جاء الاثر فمالك النجم واذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب ولم يبلغ احد مبلغ مالك في العلم لحفظه واتقانه وصيانته وما احد امنّ عليَّ في الله من مالك وجعلت مالكاً حجة بيني وبين الله تعالى. وقال الشافعي قال لي محمد بن الحسن ايهما اعلم صاحبنا ام صاحبكم يعني ابا حنيفة ومالكاً رضي الله تعالى عنهما قال قلت على الانصاف قال نعم. قال: قلت ناشدتك الله من اعلم بالقرآن صاحبنا ام صاحبكم قال اللهم صاحبكم قال قلت ناشدتك الله من اعلم باقاويل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المتقدمين صاحبنا ام صاحبكم قال اللهم صاحبكم قال الشافعي فلم يبق الاَّ القياس والقياس لا يكون الاَّ على هذه الاشياء فعلى اي شيء نقيس

هذا هو الامام مالك وهو غنيٌّ عن التعريف بعد ان قال ابن عبد البر ان الناس الفوا في فضائله كتباً عديدة. وناهيك بمن يشهد لهُ الشافعي مثل تلك الشهادة وهو صاحب الموطإ المشهور احد الكتب الستة في الحديث النبوي وعنهُ روى الامام سحنون بن سعيد التنوخي عن الامام عبد الرحمن بن القاسم العتقي كتاب المدوَّنة الكبرى في فقه مالك. وهذا السفر الجليل عند المالكية ككتاب الأُم عند الشافعية وقد ظلَّ قروناً في خزائن الكتب مخطوطاً لا ينتفع بهِ الاَّ افراد حتى قيض لهُ الفاضل الحاج محمد السامي المغربي فبذل ما بذل للحصول على نسخة قديمة منهُ كتبت بعد المئة الرابعة على رقّ صقيل وخط جميل فكانت النسخة الاصلية ملوكية كما يقولون بل اكثر من ملوكية خصوصاً وعليها حواش مطرزة باقلام الثقات من اهل المذهب كالقاضي عياض واضرابه

وماذا علينا نقول في الاشادة بهذا العمل الشريف ولو عني المشتغلون بالطباعة منذ قرن بطبع الكتب الدينية واللسانية والعلمية على هذا الوضع والنحو واختاروا الأُمهات الممتعة وجعلوها مقدمة بين يدي نجواهم لربحوا اكثر مما ربحوا وافادوا اكثر مما افادوا. وقد اتحفنا

الطابع المشوه به بالاجزاء التسعة التي صدرت من الكتاب في هذه العاصمة ولا يزال يواصل اكمال السبعة الباقية منه فكانت لجودة طبعها وجلاء ورقها ورونق حرفها تضطرنا الى الاستغراق في تلاوتها الساعات وقد استفدنا أموراً ما كنا نظن احداً من الفقهاء حرك فيها بناناً ولا غرو ففي مذهب مالك من التوسع في العبادات والمعاملات ما لا تراه في غيره ولذلك كتب الله ان ينتشر في شمال افريقية حيث كثر اختلاط الناس بالافرنج قديماً وحديثاً ولا يسعهم في الاغلب الاّ مجاراتهم في شؤون معاشهم . فنثني على الطابع بما هو اهله ونتمنى ان يحذو حذوه كل طابع في اختيار اجود الورق والحروف وانتقاء خيرة المصححين لنقول انا جاريناه المرتقين في طباعتهم وماثلناهم في تفانيهم بنشر الامهات من كتب امتهم

مجلة عرفات

لصاحبها العالم العامل محمود بك سالم من رجال الاصلاح في هذه الديار وهو ممن جمعوا الى العلوم الحديثة العلوم القديمة وضموا الى المدنية تديناً . نشر في العام الماضي جريدة باللغة الفرنسوية بهذا الاسم لتبحث فيما تمس حاجة الاسلام الى التعريف به عند من يجهله وحاجة المسلمين الى ما ينفعهم ويعلي كلمتهم وقد جعل جريدته منذ مدة في قالب مجلة ليتيسر جمعها وحفظها ويتسع معه الوقت لانتقاء موضوعاتها . امتحنا بما صدر من عرفات جريدة ومجلة فطالعنا منه طرفاً صالحاً لم تزدنا بالرجل تعريفاً ولم تكن على غيرته واخلاصه دليلاً جديداً وكفى في الاشادة بذكر صاحب المجلة بانه يبذل وقته وعلمه ودرهمه في خدمة أمته فاكرم بابوين يهذبان مثله وبلاد تخرج النوابغ اذا علم ابناؤها العلم الصحيح والآداب الطاهرة . وفي هذا المقام نقترح على العالم المشار اليه ان يتفضل ولو بنشر ملحق صغير مع كل جزء يلخص فيه الى العربية ما ينبغي اقرائها ان يطلعوا عليه . والمجلة ترسل مجاناً لمن يطلبها

لامية العجم ولامية ابن الوردي

شرح الكاتب الاديب حكمت بك شريف لامية العجم للطغرائي الكاتب الشاعر المشهور المتوفى سنة ٥١٥ ولامية ابن الوردي الفقيه الاديب المتوفى سنه ٧٤٩ شرحاً موجزاً ينتفع به طلاب الادب ويعين على فهم ما أبهم من الفاظهما وتراكيبهما

السل الرئوي

افرد اجدادنا ايام كانوا يشتغلون بالعلم على انواعه بعض الادواء بالتأليف لاهميتها وانتشارها كما فعل الرئيس ابن سينا وابو مروان بن زهر وابو الوليد بن رشد وحنين بن اسحق ويوحنا بن ماسويه ويعقوب بن اسحق الكندي وثابت بن قرة الحراني وابو بكر الرازي وغيرهم. وكلما ارتقت العلوم افرد كل فرع منها بكتب وانصرف اليها ناس بحسب الحاجة. واما منا الآن كتاب في الوقاية من السل الرئوي وطرق علاجه من تأليف العالم النطاسي الدكتور خليل بك سعادة من المتميزين في الطب والعلم والمشهود له بالاجادة سيفي لإحكام العربية والانكليزية على ما علم ذلك من تآليفه باللغتين ورسائله في بعض جرائدها ومجلاتهما

والكتاب موضوع على اسلوب غربي في قالب عربي يعزو فيه معظم المواد لقائليها قسمه ابواباً تدعو المطالع الى مطالعته لما حوى من الفوائد الصحية والعلمية وقد قدم له مقدمة تدل على علو كعبه ونبالة غايته قال: «يفتك السل الرئوي كل عام بستة ملايين من البشر فيربو عدد قتلاه في بضع سنين على سائر مجموع القتلى الذين سقطوا في ميادين الوغى ايام معارك الاسكندر وهنيبال وقيصر وبونابارت والحرب الاهلية الاميركية وحرب السبعين والحرب اليابانية الروسية» وبعد فيحق للعربية ان ترحب بهذا الكتاب الجليل وهو في ٢٢٥ صحيفة جيدة الطبع والورق ويطلب من مكتبة المعارف وثمن النسخة عشرة غروش صحيحة

وقاية الاسنان

لما أُلقيت الينا هذه الرسالة ظننا انها مبتكرة ولكن عدنا فذكرنا ان لابن ماسويه كتاباً في السواك والسنونات ولحنين بن اسحق كتاباً في حفظ الاسنان واللثة أُلفت بالعربية منذ نحو الف سنة وما يدرينا ان كان السلف الف في هذا الموضوع ايضاً كما الفوا في موضوعات لا يكاد ابن هذه العصور يظن انها خطرت لمتعلي بال. وهذه الرسالة هي للفاضل الدكتور علي بك بقلي الطبيب الاخصائي بامراض الفم والاسنان تكلم فيها على كل ما له علاقة بالاسنان والاضراس والانياب وصحتها وسقمها وهي نافعة في بابها وثمنها خمسة غروش صحيحة فنشكر له همته

نيل المراد

رسالة في تشطير الهمزية والبردة وبائية سعاد للشاعر الاديب الشيخ عبد القادر سعيد الرافعي علق عليها شرحاً يفسر كلماتها اللغوية فجاءت لطيفة الاسلوب مقبولة عند طلاب هذا الفن وهي تطلب من مكتبة نجل المؤلف في الكحكة الجديدة

تبيان التعليم

حضرة العالم الاصولي ذي المعرفة السيد احمد بك الحسيني من رجال الفضل والنبل في هذه العاصمة يد طولى في وضع المصنفات الاصولية والفقهية النافعة فبالامس نشر كتاب دليل المسافر ونهاية الاحكام والقول الوضاح والقول الفصل واليوم نشر رسالة سماها تبيان التعليم في حكم غير المبدوء ببسم الله الرحمن الرحيم وما اصدق ما قاله في مقدمتها : « والمسئول ممن وقف على ما كتبته ان يدع الهوى والتقليد ولا يسترسل في مدح القديم وذم الجديد بل ينظر الى المقال بعين الانصاف والاعتدال ولا ينظر الى من قال فالرجال يعرفون بالحق وليس الحق يعرف بالرجال »

الدليل الى البرازيل

كتاب ادبي اجتماعي انتقادي لمؤلفه الاديب جرجي افندي توما الخوري ضمنه وصف المشاهد والآثار التي رآها منذ غادر سورية الى ان وصل برازيل وذكر ما يلقاه المسافر والمهاجر مازجاً الجد بالهزل احياناً . وقد قدر عدد السوريين في برازيل وحدها بخمسين الفاً وامتدح من صحفهم العربية واربابها الا انه تمنى لو ابطلت عادة نشر الرسائل المأجورة في الجرائد وفي الكتاب فوائد لا يستغني عنها المقيم والمسافر

الدين في نظر العقل الصحيح

في مقالات كان نشرها في مجلة المنار الغراء الدكتور البطاشي الفاضل محمد توفيق صدقي في العقيدة الاسلامية واثبات صدق النبوة المحمدية على وجه اقرب الى عقول المتعلمين وقبول المدنيين وفي آخرها مقالة في حكمة نجاسة الكلب والخنزير وتحريم لحمهما فجاءت في ١٦٠ صحيفة صغيرة وافية بالغرض تدلب على بعد غور كاتبها . وثمن النسخة قرشان ونصف تطلب من مكتبة المنار بشارع درب الجماميز

الاجوبة المسكتة

تأليف الاديب الاريب احمد افندي صابر جمع فيه ما شاق وراق من الاجوبة اللطيفة التي فتح بها على كبار العرب والفلاسفة قديماً على نحو توخى فيه الايجاز والاقتضاب فجاء كتابه في ١٨٠ صحيفة صغيرة مطبوعة طبعاً نظيفاً على ورق جيد . وعساه يضيف اليه في الطبعة الثانية ما اخره بالقصد من المواد التي لها علاقة بالكتاب ويردفه بما هو شائع اليوم على ألسن القوم من هذه الاجوبة الادبية اللطيفة التي قد تقع لاحد العامة فيستفيد

منها الخاصة والعامة معاً . والكتاب يطلب من مؤلفه بديوان الاوقاف وثمنه خمسة قروش

الحقيقة الباهرة

في اسرار الشريعة الطاهرة من تأليف سماحة الاستاذ الشيخ محمد ابو الهدى افندي الصيادي الرفاعي بنى ابوابه على عدد شعب حديث «الايمان بضعة وسبعون شعبة» وقد طبع في القاهرة على ورق جيد وطبع نقي

ذكرى فريد

نشرت جمعية تهذيب الشبيبة السورية في بيروت المراثي واقوال الجرائد وبعض آثار فريد عوض وترجمته وكان من اذكياء الشبان في المدرسة الكلية الاميركية فتوفي منذ ثلاث سنين فرأى اصحابه ان ينشروا له كراسة يخلدون بها ذكره مخافة ان يضيع كما ضاع كبار رجالنا باهمالنا فنثني على غيرة من تولوا ذلك

روايات جديدة

رواية البعث ـ معربة عن الانكليزية بقلم الاديب رشيد افندي حداد وهي من وضع الفيلسوف الروسي ليون تولستوي تطلب من المكتبة الشرقية

عشيقات الملك ـ تعريب الكاتب الاديب ابراهيم افندي سليم نجار تطلب من صاحبها وقيمتها فرنك واحد

رواية سرولاسر ـ للعقيلة استير مويال تطلب من مسامرات الشعب

الساحر الخالد ـ معربة عن الانكليزية بقلم الكاتب الاديب محمد لطفي افندي جمعة وهي احدى روايات مسامرات الشعب

هدية الابن

كراسة كتبها الاديب بشاره افندي الياس عيد الخاج بطرس من جالية السوريين في البرازيل اهداها الى والده ووصف له فيها حال البرازيل ومن رأيه ان البرتغاليين لما اكتشفوا البرازيل سنة ١٥٠٠ م كان في جملة من بعثتهم الحكومة البرتغالية اليها عيال كثيرة من بقايا السلالة العربية في الاندلس لتطهير بلادها من النسل العربي ولذلك كان في الامة البرازيلية نقطة دم عربي . فلكاتبها منا الثناء

الاقتصاد لبلوغ المراد

رسالة في النحو لمؤلفها الشيخ احمد مصطفى بن محمود ابي النصر من طلبة الازهر

تدبير الصحة

الخبز الابيض

ما زال علماء الصحة يوصون بالاعتماد على الخبز الاسمر بدل الابيض وقد انذر احد رجال الاميركان الآن ان من يعتمد في طعامه على الخبز الناصع البياض يصاب بالهزال وفقر الدم اذ ان هذا البياض لا يكون الاَّ بوسائط صناعية تسلب من الخبز صفاته المغذية

اللحوم والبقول

اثبت احدهم ان الانسان خلق ليتغذي باللحوم — خلافاً لرأي القائلين بان البقول هي خير ما يعتمد عليه المرء في تغذيته — قال ومما لا ينكر ما يحدث تناولها من اضطراب في المعد عند كثير من الناس لكن ذلك ينشأ من طريقة الاكل لا من الطعام نفسه وقلة المضغ في الغالب تضر الهضم وتجعل فيه عسراً

جمع الحواس

طلبت احدى المجلات اليابانية من الكتاب ان يوافوها بما يرونهُ من انجع الاسباب واحسن الطرق وابرك الساعات لجودة التصور فقال بعضهم ان التفكر لا يجري بدون تأمل وهو محتاج لجمع الحواس . وقال بعضهم ان احسن الساعات للافتكار هي عند الانتباه من النوم صباحاً اذ يكون الدماغ مستريحاً ولذلك كان من احسن الامور القاء الدروس على التلامذة صباحاً . وآثر آخر ان يبدأ المرء بعمله بعد التنزه ومن ذلك تعظم فوائد الدروس التي يتلقاها الطالب في صفوف تقام بعد الرياضة البدنية . وارتأى آخر ان البداءة بالعمل العقلي ينبغي ان يستعد لها بالقراءة واوصى الاساتذة ان يعمدوا الى هذه الطريقة

القيلولة

هي نوم الظهر والراحة فيه لا غنية لسكان البلاد الحارة عنها وقد يستغنى عنها في البلاد الباردة . وقد اخذ اهل العلم في انكلترا يتناقشون هذه الايام في فائدتها وخصوصاً لطلبة المدارس لان هؤلاء يصرفون من دقائق الدماغ كل يوم جانباً كبيراً في استخدام القوى المفكرة والباحثة والمدققة والمشبهة والحاكمة فحالتهم والامر على ما ذكر تستدعي راحة اعظم

بالنظر لما يبذلونه من الاجهاد العقلي والتبلولة تتعبهم في صحتهم اكثر من الرياضات المألوفة في المدارس وما هي الا عناء آخر عضلي بعد ذلك العناء العقلي وخير للتلميذ ان يناء في فراشه ويريح عقله وجسمه من ان يسير في الهواء الطلق ويصرف وقت راحته في ترويض جسمه رياضة طبيعية مستمرة عنيفة . وارتأى القائلون باستعمال هذه الطريقة ان يفحص التلامذة كل يوم فحصاً طبياً بمعرفة اطباء من اهل الاختصاص يعهد اليهم فحص تراكيب التلامذة الفسيولوجية وينظرون في قواهم العقلية

سير العلم

التعليم في مصر والسودان

لا تزال مصر في مؤخرة الأمم بعدد متعلميها وكثرة أميها والسودان في مؤخرة المؤخرة. فحيا الله يوماً نرى اهل هذين القطرين يقبلون على تعليم اولادهم اقبال الممالك الصغرى في الغرب على تعليم بنيهم. فترى سويسرا والبلجيك وهولاندا والدانيمرك والسويد ونروج واليونان ورومانيا وبلغاريا والصرب وكل منها في دون مصر والسودان بعدد سكانها وغذائها الفضيحي ارقى من هذين القطرين في التعليم بل الفرق بين التعليم وعدد المتعلمين هنا وبين التعليم والمتعلمين هناك كالفرق بين الشرق والغرب

ويؤخذ من تقرير اللورد كرومر عن مصر سنة ١٩٠٥ م ان عدد التلامذة الذين حضروا مدارس الحكومة سنة ١٩٠٥ م ٧٤١٠ في الكتاتيب و ١٤٧٨ في دار تخريج المعلمين للكتاتيب و٧١٧٥ في المدارس الابتدائية العالية و ٥٦١ في المدارس الصناعية و ١٣٤٥ في المدارس الثانوية و٧٤٣ في المدارس الفنية ومجموعهم ١٨١٨٢ انفقت معارف مصر عليهم ٢٧٦ الف جنيه مصري

اما في السودان فكان عدد المتعلمين في مدارس الحكومة آخر السنة الماضية ١٥٣٣ صبيا منهم ٣٩٢ في كلية غوردون و ٢٣٩ في المدارس الابتدائية العليا و ٢٩ في كليتي المعلمين في ام درمان وسواكن و ٧٢٣ في المدارس الابتدائية الاهلية

وقال في كلامه على التعليم الثانوي بمصر ان عدد الناجحين ٧٧ تلميذاً او ٤٠ في المئة من تقدموا للامتحان — والامتحان بالانكليزية او الفرنسوية — منهم ١١٧ من المسلمين و ٦٠ من المسيحيين فيظهر من ذلك ان ٦٦ في المئة كانوا مسلمين اي اقل قبيلاً مما كانوا عليه سنة ١٩٠٤ وقل عدد الناجحين من المسلمين في امتحان الشهادة الابتدائية فان عدد الناجحين في

هذا الامتحان بلغ ١١٧٣ تلميذاً منهم ٧١٧ او ٦١ في المئة من المسلمين يقابلهم ٦٦ في المئة سنة ١٩٠٤ قال وهذه النسبة ليست مما يوجب الرضى والسرور لاسيما اذا تذكرنا ان المسلمين ٩٣ في المئة من مجموع سكان القطر

وكان عدد المدارس الخصوصية التي تقدم منها تلامذة للامتحان ٩٩ مدرسة منها ٥٠ يديرها المسلمون و٢٧ الاقباط و٢١ يديرها المرسلون و١ اليهود . قال فلو ان ما يبذل من المال والهمة على المدارس الخصوصية التي على الطراز الاوربي يوجه الى التعليم الاهلي باللغة العربية وهو على غاية الانحطاط لنتج عن ذلك فائدة عظيمة للبلاد عموماً

ونكلم على الكتاتيب التي قامت بهمة الافراد في احدى عشرة مديرية من مديريات مصر فقال انها انشأت حتى الآن ٧٥٨ كتاباً جديداً وفي تبني ١٨٧ كتاباً آخر ورممت ٣٦٦ كتاباً وبلغ عدد الكتاتيب التي هي تحت مراقبة الحكومة ٤٨٥٩ كتاباً منها ٢٥٦٥ كتاباً منحتها الحكومة اعانات قدرها ١٣١٦٤ ج م وقد بلغ عدد المتعلمين فيها ١٣٦٠٨٣ و٩٦١١ بنتاً وعدد المعلمين ٦٣٩٥ والمعلمات ٣٢ وتحت ادارة نظارة المعارف ١٠٩ كتاتيب اخرى يتعلم فيها ٥٧٧٧ صبياً و٨٣٣ بنتاً وبلغ عدد كتاتيب البنات وفي جملتها الكتاتيب التي تحت مراقبة الحكومة ٢٠٥٣ وعدد تلميذاتها ١٢٠٠٦

وفي بولاق مصر مدرسة للصناعة فيها ٤٢٣ تلميذاً منهم ٢٨٥ مسلماً وفي المنصورة مدرسة صناعية فيها ٦٨ تلميذاً . ولا يزال عدد من يدخلون دار المعلمين الناصرية يزداد سـ وفيها يتعلم المعلمون العلوم باللغة العربية فقد بلغوا ٢١٠ في السنة الماضية وفي المدرسة السنية لمعلمات المدارس الابتدائية ١٨ معلمة وفي مدرسة بولاق لمعلمات الكتاتيب ٣٩ وفي مدرسة عبد العزيز لمعلمي الكتاتيب ١٠٦ وفي مدرسة الفيوم ٦٢ ودار التعليم في درب الجماميز ٦٩ معلماً

وفي مدرسة الزراعة الآن ٧٠ تلميذاً منهم ٣٩ من المصريين والباقون من امم مختلفة . قال اللورد وما يسوءني ذكره ان ٣٢ تلميذاً من التلامذة المصريين مسلمون وفي مدرسة الهندسة ٥٧ تلميذاً ومجموع تلامذة مدرسة الحقوق ٢٧٣ منهم من يدرسها بالفرنسوية ومنهم بالانكليزية وفي مدرسة الطب ١١٦ تلميذاً اثنان منهم في القسم الصيدلي وفي مدرسة البيطرة ٣٢ تلميذاً وعدد تلامذة مدرسة العميان بمصر ٢٧ وتلامذة مدرسة العميان بالاسكندرية ١٧ وفي كلية فكتوريا في الاسكندرية ١٧٥ تلميذاً المسيحيون منهم ٧٨ واليهود ٦١ والمسلمون ٣٦

الاختراعات في اميركا

تكاد تكون الولايات المتحدة مستأثرة بالاختراعات والاكتشافات في الغرب هذا العهد فان ما يخترعهُ ابناؤها ويكتشفونهُ يدل على ان قوة الابداع والايجاد وقف عليهم ومع ان حكومة تلك البلاد تتصعب كالمانيا في اعطاء البراءات للمخترعين المكتشفين ما لم يثبت لديها ثبوت الشخص ان صاحب البراءة ابتدع ما لم يسبق اليه حقيقة فقد أُحصيت البراءات التي منحتها الحكومة الاميركية سنة ١٨٥٥ فكانت ٢٠٠٠ براءة ولم تبرح ترتقي سنة عن سنة حتى كانت سنة ١٩٠٣ ــ ٣١٧٠٠ براءة

النساء العالمات

أُلفت في لندن احدى بنات احد الماليين مجمعاً للنساء العالمات في العالم ونشرت هذه الآونة تأليفاً سيصبح فيما بعد مجلة تصدر في اوقات تعين لما جاء فيه اثنان وثلاثون خبراً ومبحثاً وقطعة شعرية موقعاً عليها من نساء عالمات من انكلترا واميركا وفرنسا وايطاليا والمانيا وهولاندا ورومانيا وكلهنَّ تكتب بلغتها فكان للانكليزية الحظ الاوفر وتلتها الافرنسية فالايطالية ولا يقصر هذا المجمع النسائي اعماله على نشر مقالات الجنس اللطيف في الغرب واشعارهنَّ بل يتخذ لهُ مراكز في عواصم العالم المهمة يكون فيها ما يلزم للمشتركات من انواع الراحة وضروب المسليات المباحة وخزائن كتب وقاعات اجتماع وقاعات طعام وقد دعون في لندن وبرلين كبار رجال السياسة فلبوا دعوتهنَّ وكان في تلك الاجتماعات غناء ومعارض صناعية من اشغالهنَّ يبعنها بواسطة مكتب تجاري اقمنهُ لهذا الغرض وكلما تزايدت اعمال هذا المجمع زادت فائدته للمشتغلات بالعلم والصناعة من بنات العقول في الغرب. فمتى يكون للشرق يا ترى مجامع كهذه للرجال ثم للنساء

البنات اليابانيات

نالت شهادة الطب من الدرجة الاولى من كلية مار بورغ الالمانية الآنسة ايادا ماتا من مدينة كوموتو اليابانية . وليست هذه هي المرة الاولى التي نال فيها اليابانيات ارقى شهادات العلم واثبتن ذكاءهنَّ وبعد نظرهنَّ في المطالب العالية فان كليات نيويورك وشيكاغو وسان فرنسيسكو غاصة باليابانيات ممن يدهش العالم بفهمهنَّ وعلمهنَّ . وامبراطورة اليابان هارو كوف هي من اشد انصار النساء وتعليمهنَّ لتحريرهنَّ من رق الجهل فقد بعثت منذ جلست على عرش الامبراطورية بكثير من البنات على نفقتها الى كليات اوربا واميركا . بدأت بذلك سنة ١٨٧١ ولا تزال ترسل كل سنة طائفة من البنات تطلبهنَّ الى حضرتها

قبل ذهابهن وتلقي عابهنّ المواعظ الحسنة وتحثهنّ على ان يكتبنّ لها كل ثلاثة اشهر على الاقل بما تلقينه من اساتذتهنّ ويطلعنها على نتائج دروسهنّ وابحاثهنّ ويشرحنّ لها ما احدث في نفوسهنّ اختلاطهنّ بالحياة الاميركية . وليت شعري متى يكون للشرق الادنى بعض ما للشرق الاقصى من العناية بتعليم البنات وتهذيبهنّ

مكتبة ثمينة

حزن العلم لضياع مكتبة المثري الاميركي الشهير المستر سوتزو في زلزال سان فرنسيسكو الاخير فلم يكن فيها اقل من ٢٢٥ ألف مجلد ومعظمها من كتب العلم والصنائع والادب القديمة ونسخ مخطوطة بخط مؤلفيها ولا سيما كتب من طبع غوتنبرغ مخترع الطباعة وهذه الخزانة هي انفس مكتبة في اميركا الشمالية فلا عجب اذا تأسف العلماء لفقدها ولا تأسفهم على ما ضاع في ذلك الزلزال من المكاتب الخاصة والعامة والعروض والاموال

مكاتب فرنسا

وضعت احدى الصحف اليومية الباريزية مقالة افتتاحية في خزائن كتب فرنسا وما تم فيها من الارتقاء في مئة سنة فقالت كان عددها سنة ١٨٧٣ــ٧٧٣ مكتبة فيها ٨٣٨٠٠٠ تأليف فصارت في السنين الاخيرة ٢٩١١ مكتبة فيها ٤١٢٦٦٠٠ مصنفاً وذلك عدا مكاتب المدارس وعددها اربعون الف خزانة كتب . قالت ان رغبة الناس انصرفت في العهد الاخير الى مطالعة الصحف وبعض المجلات حتى عدّ قريبٌ من ارباب النظر تلك المطبوعات الدورية اعداء الكتب والرسائل . وقال آخر ان المجلات والجرائد تعين على انتشار الكتب والرغبة فيها والصحف اكبر مساعد على خدمة العلم بما امتازت به من الاساليب فانها تكتب بحسب الاحوال والدواعي فتبعث المطالع على النظر فيها رغم أنفه . ثم ذكرت ان فرنسا مختلفة عن المانيا من حيث انتظام مكاتبها ووفرة عددها كما ان هذه مختلفة عن انكلترا واوربا كلها مختلفة عن الولايات المتحدة وما مكاتبها اذا نسبت لمكاتب العالم الجديد الاّ اكواخ . ومن لاوربا بكريم يشبه كارنجي المثري الشهير الذي يبذل من ماله كل سنة خمسة اوستة ملايين ريال اميركي لاصلاح خزائن الكتب في بلاده وهو يقول ان المكتبة مدرسة في الحقيقة وفيها مؤدب ومرشد

نفقات الجيوش

قدر احد الصحافيين في اميركا ما انفقته الدول منذ خمس وثلاثين سنة على تسليح جيوشها

فكان معدله السنوي ثمانية عشر مليارًا من الفرنكات ذهب اكثرها هباء منثورًا وان ميزانية الدول جماء تضاعفت منذ ذاك العهد

اعتصابات العملة

كثر اضراب العملة عن العمل في السنين الاخيرة فقدرت احدى المجلات الاشتراكية ما حدث من الاعتصابات منذ ست سنين فكانت ٤٢٧٠ اعتصابًا والمعتصبون ١١١٩٠٥٠ عاملاً منهم من نالوا مطالبهم ومنهم لم ينالوا سوى جزء منها ومنهم من اخفقوا

السخاء الاميركي

رأى احد علماء الالمان ان ما لفت انظاره في اميركا هو سخاء افرادها فهم ينفقون الملايين على انشاء المكتاتيب والمدارس والكليات حتى ان احدهم وهب اربعة ملايين ريال لانشاء كلية شيكاغو وحدها

نقل الابنية

في اميركا ينقلون البناء الهائل من اساسه ويحملونه في مكان آخر دون ان يطرأ عليه ما يخربه ويكون ذلك في الابنية غير الشاهقة وقد نقل الالمان هذه الآونة منارة مدينة وتمبرغ بالقرب من هميورغ وكان وزنها نحو ستين طنًا وعلوها ٣٨ مترًا ودامت النقلة ٣٢ دقيقة وكلفت عدا ثمن الاخشاب ٨٣٥٠ فرنكًا فتأخرت المنارة عن محلها عشرة امتار وكبر بذلك مدخل السفن في الميناء

مقالات المجلات

سقوط الكتب

تكلم احدهم في احدى المجلات الفرنسوية عن سقوط الكتب فقال ان طريقة الاعلانات قد احدثت تدجيلاً تجاريًا هائلاً فان بعض المؤلفين ينشرون عن مصنفاتهم اعلانات ويبذلون في هذا السبيل من الاموال ما لا يوفي ما ينفقونه الا طبع عشرين الى ثلاثين الف نسخة فتراهم يتباعون العمود الاول في بعض الجرائد ينشرون فيها صورهم وشيئًا من تراجمهم ويودعونها مفاوضات العلماء بشأنهم ويشغلون الصحف بمناقبهم كل هذا لترويج سلعتهم

الآلام البشرية

رأى المستر ستيد صاحب مجلة المجلات الانكليزية ان يأسو جراحات الانسانية بخمس مواد وضعها وايقن ان فيها خلاص البشر في هذه الدار فدعا الاغنياء والفقراء وارباب السلطة والضعفاء ان يحملوا واياهُ يداً واحدة في تحقيق هذه المشروعات الخمسة الخيالية . وهي (١) إخاء عام اساسهُ العدل والحرية مع بث روح الوئام بين الامم واتفاق كلمة الانكليز والاميركان وألفة الدول والعطف على الاجناس المحكوم عليها وتحكيم دولي (٢) اجتماع الاديان كلها واهل المباحث العلمية الشرعية في عالمي المادة والروح (٣) الاعتراف بحقوق المرأة في المجتمع واعطاؤها حقها من الامتيازات الوطنية (٤) اصلاح حال الشعوب (٥) تحسين قوى الشعوب طبيعية كانت او عقلية وذلك بمعنها على المطالعة واللعب في الهواء الطلق والموسيقى والتمثيل

اتحاد اوربا

كتب احد نبلاء الانكليز في مجلة القرن التاسع عشر رسالة قال فيها انهُ موقن بان الدول لا يعملن باخلاص على الوفاق الودي الاجماعي بينهن وانهُ لا بد من نشوب ثورة يكون شؤمها مما لم يرهُ الراءون ولا رواهُ الراوون ولكنهُ رجا ان يتم بفضل رئيس الوزارة الانكليزية الحالية تأليف اتحاد عظيم يرمي الى السلم ويقي العالم هذا الخطر المحدق وقال ان كثرة المعدات الحربية اضطرت الحكومات الى اتفاق نفقات طائلة ولا غاية منها الا تقوية عددها وعديدها استعداداً لما عساهُ يطرأ من التعادي فهن يتحملن نفقات فاحشة في ميزانياتهن وكان عليهن ان يعرفن مصالحهن المشتركة ويفضضنها على اهون الاسباب . وقد اراد الغاء الجارك كلها لان مبدأ حماية التجارة برأيهِ لا يتأتى عنهُ الا خراب البلاد الاقتصادي

التعليم الابتدائي

ارتأى احدهم في احدى المجلات البريطانية انهُ ينبغي ان تصرف عناية كل أمة الى تقليل عدد التلامذة في جميع الصفوف وان تجزأ هذه وتقسم الى اقسام وان يلقن الاولاد كيفية التعليم بانفسهم اذ قد دلت التجارب على ان الدروس التي يتلقاها المرء من تلقاء ذاته هي احسن ما يتلقنهُ من ضروب العلم في حياته

عدد الصينيين

ظهر لاحد الباحثين من الانكليز ان في سكان الصين وهم اربعمائة مليون ٣٧٨ مليوناً يتحلون ديانة كونفوشيوس وبوذا وتاواست و ٢٠ مليوناً يدينون بالاسلام ومليونين بهم يدينون بالنصرانية

السل البقري

جاء في مقالة لاحد علماء الالمان ان السل البقري يزداد في اوربا فتكاً فان فرنسا تخسر به ثلاثين مليون فرنك والمانيا خمسة وعشرين مليون مارك وان لبن الامهات ينقص كما كثر عدد سكان المدن كما هو المشاهد في المانيا فان ثلث اطفال برلين محرومون من ثدي أمهاتهم لنضوب درهم وارتأى ان احسن طريقة للبقر ان تحقن حتى يكثر نوعها ودرها ولا تصاب بالسل

رسوم اللغات

المحيط — في الارض نحو ثلاثة آلاف لغة تختلف لهجتها كلها بعضها عن بعض ولكن بينها لغات كثيرة متشابهة كالتركية والعربية او الفرنسوية والانكليزية وبينها ما يكثر فيه الاختلاف رسماً وكتابة ومطالعة فبعضها يقرأ ويكتب من اليمين الى اليسار وبعضها من اليسار الى اليمين والبعض من اعلى الى اسفل كلغات الصين واليابان وما جاورها . اطلع على كتيب جمعت فيه امثلة من ٢٩٦ لغة وقد كانت الجمعيات الدينية السبب الاكبر في رسم لغات كثيرة منها لم تكن من اللغات المكتوبة من قبل وذلك توصلا الى اتمام ما قصدته من نشر التوراة والانجيل بين جميع الشعوب

ديانة الكالا

المشرق — كالا بكاف ثقيلة تركية وان شئت فجيم مصرية ولام مشددة كلمة ينعت بها الاحباش النصارى الاصليون من سكان الحبشة الأميين الذين لا يدينون باحدى الديانتين الشائعتين في شرق افريقية وهما الاسلام والنصرانية . ومعنى اللفظة «من لا كتاب له» ثم عمّ استعمال هذه الكلمة فاشتهر بها اسم هذه الامة التي تدعو نفسها اورومو والكلتان اليوم مشهورتان ودونهما شهرة كلتا «أركنا» و«كوتو» اللتان يعرف بهما هذا الشعب . فالكالا اسم لامة كبيرة تعد من اكبر شعوب افريقية عدداً تقطن في شرق هذه القارة بلاداً فسيحة متسعة تعم بلاد منليك كلها وسهولاً معظمها مجهول تمتد بين المملكة الحبشية وما وراء بحر الغزال غرباً وبلاد الكنغو جنوباً . ويقدر عدد الكالا الخاضعين فقط لسلطة النجاشي بضعف عدد الاحمريين اي باثني عشر مليوناً ويقسمون من حيث اديانهم الى ثلاث طوائف اولها الكالا المسلمون وهم طائفة لا يتجاوز عددها الثمانين الفاً تقطن في المقاطعة الحمرية فقط وقد دانت بالاسلام على يد الحمريين ومن يجاورهم من المسلمين . وثانيها الكالا النصارى وهم طائفة قليلة لا يتجاوز عددها مائة الف نفس تسكن بين الاحمريين نصفهم

كاثوليك والنصف الاخر بعائلة . وثالثها الكالا الام وهم الطائفة العظيمة وهي ليست وثنية بل تعبد الهاً واحداً وتحرم السرقة والقتل وكل ما يدل العقل على انهُ منكر وتأمر باحترام الشيوخ والوالدين وبالتضرع الى « واكا » وهو الله جل جلاله وتنهى عن اكل اللحم البشري

تطور الامم

المنار — افاض في اطوار الامة الاسلامية قديماً وحديثاً من حيث سياستها واخلاقها وعلمها ومما قالهُ : ثبت بالتجربة والاختبار ان المتعلمين للعلوم الكونية هم الذين يسودون امتهم كما ان الامم السابقة في مضمار هذه العلوم تسود المتخلفة فيه فالناس تبع لهؤلاء المتعلمين صلحوا ام فسدوا فهم التيار الجديد الذي يحول الامة من حال الى حال وعقول هؤلاء المتعلمين وقلوبهم بين ايدي الاجانب فهم الذين يودعون فيها و ينقشون في الواحها المستعدة ما يريدون على علم منهم بغايته واثره . ومما نشاهد من اثره ان اكثر المتعلمين لا قيمة للدين الذي هو الرابطة العامة للمسلمين في نفوس اكثرهم فهم لا يصلون ولا يصومون ولا يحللون ولا يحرمون وانما همُّ اكثرهم التمتع باللذات الحسية ولو بذلوا في سبيلها جميع المصالح العامة . ثم هم مع هذا مغرورون بانفسهم يحسبون انهم ارقى من سلفهم الصالح عقولاً وارجح احلاماً واوسع علوماً وافضل آداباً واقدر على الاعمال الاجتماعية فلا الدين عرفوا ولا حب الامة أشربوا وكيف وهم على جهلهم بشريعتها يجهلون تاريخها الذي لم يتفضل عليهم ساداتهم الاجانب بشيء حقيقي منهُ الا بعض المسائل المنتقدة التي صوروها بغير صورتها

الاطباء ومدارس الطب

الحكمة — كان من يتعاطون الطب في عهد الفراعنة ثلاثة اقسام وهم الحكيم العادي والراقي والمشعوذ الساحر كما وجد في رسالة مكتوبة في عدة صفحات من ورق البردي . كتب هيرودتس ان الطب كان موزعاً في مصر توزيعاً علمياً دقيقاً بحيث كان الحكيم يشتغل بفرع واحد لا بعدة فروع منهُ . بعضهم يطب الرمد و بعضهم اوجاع الرأس وآخرون المعدة وغيرهم الامراض الباطنية . وكان الرمديون اكثرهم عدداً ومهارة حتى اشتهروا خارج مصر لان المصريين كانوا عرضة لرمد موضعي لم يزل شائعاً . ومن الاطباء عدد ليس بقليل كان مشتغلاً بمرض الاسنان لان المصريين كانوا ايضاً عرضة لهذا المرض لرطوبة البلاد ولحسن سمعتهم في البلاد وخارجها استحضر قورش دارا (من ملوك الفرس) اطباء منهم لمعالجة الامراض التي كانا مصابين بها وكذلك نجد في مراسلات دارت بين بلين وتراجان (وكلاهما روماني) يبغي فيها الاول نفسه تجاه عن يد طبيب مصري يدعى ابوقراط وكان اطباء

مصر يسيرون في المعالجة حسب قواعد واصول مكتوبة وصفها عدد كبير من قدماء الاطباء وكذلك المهندسون المعماريون كانوا يتبعون تصميماً واحداً في بناء معابدهم والنقاشون يرسمون العظماء من الرجال على طريقة واحدة ثابتة

نفاضة الجراب

منام الوهراني

للوهراني صورة منام رآهُ او تخيله اتى فيه بكل حلاوة اعتذر ابن خلكان بطوله عن ذكره في ترجمة الرجل . رأى كأن القيامة قامت والناس يعرضون على الديان باعمالهم فوصف حال فريق الجنة وفريق السعير بالفاظ لو عرت عن اليذيء لساغ نشرها على رؤوس الملإ فسأل عن بعض من يدعون التصوف وهم بعيدون منهُ فقيل لهُ هؤلاء قوم غلب عليهم العجز والكسل في الدنيا فهربوا من كد الصنائع والاعمال الى زوايا المساجد والمشاهد بحجة العبادة والانقطاع فلا يزال احدهم يأكل وينام حتى يموت . قال: فبأي شيء كانوا ينفعون الناس ويعينون بني آدم فقيل له : والله بلا شيء البتة ولا كانوا الا كمثل شجر الخروع في البستان يشربون الماء ويضيقون الطريق وليس لهم ثمرة

ثم قال :ومشينا معهُ (في المحشر) مقدار اربعة فراسخ واذا بجمع عظيم يحتوي على مشايخ وشبان وكهول قد حف مجلسهم السكينة والوقار وجلالة الملك والرياسة تلوح على وجوههم فسألنا عنهم فقيل هؤلاء السادة والقادة من بني عبد شمس فدخل قسيم الاعور حتى وقف بين يدي عظيمهم فقال : يا خال (كذا) المؤمنين يا كاتب وحي رب العالمين نحن قوم من محبيكم وقد طردنا عن الحوض لاجلكم ونحن ها لكون من شدة العطش بسببكم فقال: لك بينة تشهد بما تقول فقال : نعم جماعة من شيعتكم ومحبيكم الاكراد فقال: احضرهم فقال: ابعث معي رجلاً شامياً فتخلل الناس ونادى باعلى صوته : يا عبد الملك بن درباش (؟) قاضي قضاة مصر في ايام الملك الناصر صلاح الدين فلم يجبه احد. فوقع ابن بدر مغشياً عليه من شدة الأواء فقعدنا عند رأسه وسألنا هل عندكم قطرة ماء نبل بها حلقه . فقالوا : لا والله لو تقدمتم قليلاً لما احتجتم الى هذا كله . فقلنا لهُ : وكيف ذلك . فقال : لان أم حبيبة زوجة النبي (ص) تبعث الى اخيها معاوية كل يوم خمس ثلجيات مزملات كل ثلجية مثل جبل الثلج عشرين كرة فيها الماء الخاص من عين التسنيم . يدفع واحدة منها الى عمرو بن العاص والاخرى

الى زياد بن ابي سفيان وذويه والأخرى الى مروان بن الحكم وذويه والأخرى الى سعيد ابن العاص وذويه ويقسم الواحدة في آل ابي سفيان

وما كان اسرع من ان حضر القاضي في جماعة من الاكراد فتقدموا الى معاوية فسلموا عليه ثم التفتوا الى ابنه يزيد فقالوا : السلام عليك يا امام العدل السلام عليك يا خليفة الله في الارض السلام عليك يا ابن عم رسول الله السلام عليك يا سيدي ورحمة الله وبركاته نعمنا الله بطاعتك وادخلنا في شفاعتك ورفع درجتك في الجنة كما رفعها في الدنيا فردا عليهم ردًا خفيفًا وقال للقاضي صدر الدين : الحمد لله الذي جعل في اصحابي وشيعتي من يصلح ان يكون قاضي قضاة المسلمين . فقال لهُ القاضي : كل ذلك ببركة الفقيه عيسى ضياء الدين . فقال لهُ اوصيك باصحابك الاكراد خيرًا فانهم اولى بحسن تدبيرك من سائر الناس فقال : نعم يا امير المؤمنين ما احتاج فيهم وصية هذا انا قد وليت القضاء لجماعة منهم انا اعرفهم في بلادنا لا يعيشون الا من لصوصية البقر في الليل وسرقة الحمير بالنهار ولم افعل ذلك الا لاني أُلزمت باستقضاء قوم انحس منهم بكثير

الانتقاد على المقتبس

تفضل كثير من رجال العلم والادب بنقد هذه المجلة فقال حافظ افندي ابراهيم ان المقتبس مصوغ بصبغة شرقية قديمة فينبغي لهُ نبذ القديم من الموضوعات واتخاذ لباس قشيب ينضيه كما جد غيره . وقال ابراهيم افندي الجمال كلامًا يقرب من هذا وان للتفنن في ايراد الابحاث الجديدة الحاضرة طلاوة ووقعًا في النفوس Variété, nouveauté, actualité وقال محمد لطفي افندي جمعة كلما عمدت الى النظر في المقتبس تعاظمت ابحاثه وتجاذبت نفسي عن عباراته لاني اجدني بين مادة صرفة وجد بحت ولا شك ان معظم القراء يشعرون شعوري فلا بدَّ لمن اراد ان يعلم غيرهُ ان يتنزل في عباراته وموضوعاته ويحتال عليه ليطالع شاء ام ابى . وقال احمد بك زكي ارى في بعض الابحاث اقتضابًا يكاد يكون مخلاً فعليك باشباعها وعندي ان الاجدر ان تترك « قال احدهم وروى بعض العلماء او احد الاساتذة » ونسب القول الى قائلهِ مباشرة فان هذا الباب فتح قديمًا باب التلاعب في كثير من العلوم وكذلك اليوم . فلا غنية لمن يريد ان يخدم العلم عن التصريح باسماء المنقول عنهم

وكتب من بغداد الاب انستاس ماري الكرملي يقول : « عربتم فصلاً عن احدى المجلات العلمية ص ٩ ولم تذكروا اسم المجلة وهو امر مهم في مثل هذا المقام . وكذلك لم تنوهوا

باسم الكاتب الاصلي . وقد تكرر فعل ذلك عدة مرار . اظن ان الاحسن ذكر كل جريدة باسمها وكل مؤلف باسمه . ثم حاولتم بعض الاحيان ذكر لفظة بلفظة اخرى طلباً للجلاء من ذلك ذكرتم في ص ٥٦ العكرش فقلتم . . . ويزركالجاورس — وهو حب يؤكل مثل الدهن (وهو من خطإ الطبع وتريدون الدخن) ولعلهُ الدخن . قلنا ليس العكرش بالدخن بل هو نبات آخر مشهور عند جميع اعراب البادية في العراق ولا يشبهُ الدخن إلاَّ في الحب فقط . وقلتم ص ١٠٨ التوابل (السلطات) والصحيح ان هذه غير تلك . وذكرتم ص ١٣٦ اسم القنطيس بمعنى البرميل . ولا مشابهة بين الاثنين وكلاهما معروف عندنا باسمه وبمميزاته . وذكرتم التيرات (ولعلها النيترات) باسم (البورق) وليس الامر كذلك وبينهما بونٌ بين

وقد وقع في اجزاء المقتبس اغلاط طبع كثيرة فالامل انها تصلح في ما يلي او يمنع وقوعها . وحسناً عملتم وتعملون عند خفاء معنى لفظة ان تكتبوها على علاتها ثم تضعون وراءها علامة الاستفهام او كلمة (كذا) . فان ما لا يفهمهُ هذا يفهمه ذاك . مثلاً كلمة « وبة » فهي مستعملة في العراق وقد جاءت في ص ٣١ وهي من المكاييل سعتها ٢٤ مداً

واما المقالات العلمية فانها لا تخلو من المغامز ولعلَّ السبب انكم اردتم ان تجمعوا فوائد جزيلة في حجم صغير . فجاءت الفوائد مبتورة غير مشبعة بالتحقيق . وقد ذكرتم في مستهل المقتبس ان مجلتكم « تتحيض للعلم المحض فلا يخرج من تلاوتها الموافق والمخالف » والحال قد ورد في العدد الثالث مقالة عن حرق مكتبة الاسكندرية يستشف من خلال سطورها ان المقتبس لم يتمسك بما وعد فتقول الكاتب التركي « ان نسبة الحريق لعمر او لعمرو أكذوبة لفقها ابو الفرج . . . » الى آخر ما هناك واستحسانكم اياهُ يخالف الحق . فقد ذكر كتبة المسلمين ومؤرخوهم ما يزيل الشبهة في هذا الصدد منهم ابن القفطي في تاريخه وموفق الدين عبد اللطيف البغدادي في الفصل الرابع من كتاب الافادة والاعتبار ومنهم المقريزي الخ الخ فيجدر بالانسان ان يذكر الامور التاريخية على صورتها بدون ان يوقع الاهانة بقوم او بجماعة ولاسيما في مسألة كثر فيها الخلاف والنزاع »

.....

حببوتك القاب العلا فادعني باسمي ... فما تخفض الالقاب حرًّا ولا تسمي
يقولون محمود ويا ليت انني ... كما زعموا يا ليت لي طالعاً كاسمي

محمود سامي البارودي